"حدث في سوانتار"

رواية

تأليف: نهى علاء الدين

حدث في سوانتار

"مباراة قدرية خفية بين صاحبة العرش، الحالمة به، و عدوته!"

رواية

تأليف:
نهى علاء الدين

٢٠١٧

الفهرس:

المقدمة ٥
الفصل الأول.....٦
الفصل الثاني..... ٨
الفصل الثالث..... ١٠
الفصل الرابع.....١٣
الفصل الخامس.....١٥
الفصل السادس.....١٨
الفصل السابع.....٢١
الفصل الثامن.....٢٤
الفصل التاسع.....٢٨
الفصل العاشر.....٣٠
الفصل الحادي عشر.....٣٣
الفصل الثاني عشر.....٣٧
الفصل الثالث عشر.....٣٨
الفصل الرابع عشر.....٤٠
الفصل الخامس عشر.....٤٣
الفصل السادس عشر.....٤٤
الفصل السابع عشر.....٤٨
الفصل الثامن عشر.....٥١
الفصل التاسع عشر.....٥٥
الفصل العشرون.....٥٨
الفصل الحادي و العشرون.....٦٠
الفصل الثاني و العشرون.....٦٥
الفصل الثالث و العشرون.....٧١
الفصل الرابع و العشرون.....٧٤
الفصل الخامس و العشرون.....٧٦
الفصل السادس و العشرون.....٧٨
الفصل السابع و العشرون.....٨١
الفصل الثامن و العشرون.....٨٣
الفصل التاسع و العشرون.....٨٧
الفصل الثلاثون.....٩١
الفصل الواحد و الثلاثون.....٩٢
الفصل الثاني و الثلاثون.....٩٥
الفصل الثالث و الثلاثون.....٩٩
الفصل الرابع و الثلاثون.....١٠٠
الفصل الخامس و الثلاثون.....١٠٣
الفصل السادس و الثلاثون.....١٠٦
الفصل السابع و الثلاثون.....١١٠
الفصل الثامن و الثلاثون.....١١٣
الخاتمة.....١١٦

ملحوظة: كل الشخصيات في هذه الرواية شخصيات وهمية في بلدة تخيلية بأحوال و ظروف و أحداث إفتراضية.. لا مدلول واقعي أو إشارة إلى أي شخصية حقيقية حالية أو تاريخية أو مستقبلية.

المقدمة:

"حدث في سوانتار" هي رواية تاريخية لا مرجع لها، فهي تحكي تاريخ سوانتار، بلدة وهمية بلا وجود و تاريخها ينتمي للاوجودية..

توالى عليها الحكام إلى أن جاء وقت المباراة القدرية و ظهور أترودين، إكسنترا، روچنارين في نفس الوقت و نفس المكان.. لهن دوافع مختلفة، أحلام مختلفة، لكن عيونهم تتجه نحو العرش.. من أتاها القدر إياه، من تحلم به، و من تريد هدمه.

تُرى ما هو دور كل منهن؟ ما دوافعهن؟ ماذا ستكون النتيجة؟ كيف ستكون سوانتار بعدها؟ ماذا سيحل بالعرش؟ من سنودع و من سيكون لها النصر؟

تداخلت الخيوط و المباراة قائمة إلى أن إنتهت بمصير سوانتار...

هذا ما تعرضه لنا رواية "حدث في سوانتار"، فهل أنت مستعد للمتابعة؟ مع من ستقف؟ من ستشجع؟ و ماذا كنت ستفعل إن كنت لاعب في هذه المباراة؟

الفصل الأول:

وقفت روچنارين، فتاة من شعب سوانتار، في شرفتها و هي تغمض عينيها قائلة بعض الكلمات بإحساس قوي لا يربك اليقين بالوهم: "كم أحلم بالعرش! لازلت أحلم به و كأنه مستقبلي المحتوم، (فتحت عينيها) كأنه واقعي و موقعي في الحياة. مازال إيماني بالمعجزات يدفعني للحلم و يحيا حلمي على أمل التحقق ذات يوم."

لم تكن روچنارين وحدها في المكان، كان ورائها على بعد مسافة منها يقف خطيبها، موفلريل الذي كان يسمعها، فتدخل و رد عليها: "كيف هذا؟ هذا هو حلم الإستحالة!"

"من يدري؟ كيف تدري؟ ما هي الحياة سوى شاهد على تقلبات الدهر؟"

"أي عرش هذا الذي تتحدثين عنه؟ مال الدهر بتقلبات و نظام الحكم في بلدنا؟ أنا لا أطمع.. سوى في المال.. المزيد منه و بذلك و بذلك فقط يكفينا الطمع مهما كان، لأي شيء كان."

"طمع؟ أنا لا أطمع، أنا أطمح!"

"ما الفرق؟ كلها أحلام، فلنتركها هنا و نعود إلى واقعنا."

"تقصد حاضرنا، فقط حاضرنا، أي لا دخل له بمستقبلنا.. إذن، فليكن!"

بعيدا عن ماضينا و حاضرنا، بعيدا عن قاراتنا و محيطاتنا، بعيدا عن مجال إتصالاتنا، تتلألأ سوانتار. بلدة بها تكنولوجيا و بساطة و هدوء الحياة في العقود الأولى من القرن العشرين الميلادي مع طابع النصف الأول من القرن التاسع عشر.

يعيش فيها أكثر من ١٠٠ ألف شخص، كان الزي الرسمي للرجال معطف ذو أزرار جانبية محكم الغلق، سراويل جلدية، و أحذية جلدية طويلة.. و للنساء فساتين طويلة لها ياقة مزخرفة، عباءة، و أحذية جلدية طويلة.

كان يحكمها ملك طيب عادل كريم تآمر عليه إبنه الطالح چاشيندره؛ فقد تغلبت نزعة الشر و الطمع و الحقد لديه على إحسان والديه إليه و كرمهما، و أخذت هذه النوازع تنمو بداخله حتى أصبحت المحرك الأساسي له..

وهم چاشيندره والده بضلال حكمه و بفساد عصره؛ صور له النسيم عاصفة، و النهر بحر، و الأخضر يابس، و الحدائق غابات، و الجنة جحيم. دق ناقوس الخطر في القصر.. إتخذ ظاهريا من طلب الرحمة دافعا له و لشراسته في مواجهة والده و إستبداده، كما زعم لآذان والده، رحمة بالشعب و ما هو بمدرك معنى الرحمة و لا يعرف كيف تسرى داخل البشر.

ما كان من الملك سوى أن صدقه و وضع كل المملكة تحت تصرفه ليهديء الأوضاع مع الشعب. نفذ چاشيندره تعليمات والده التي كلفه بها دونا عن غيره بطريقته هو أي كما أرادها هو أن تكون، ثار الشعب لهذه التغيرات المفاجئة، بهذا بدأت الظروف أن تكون مواتية و الأمور تنصب في صالحه.

لم يكتفي چاشيندره بهذه النتيجة بل أعلن الغضب و التمرد على الملك، و لخوف الملك المتزايد على نقض عهده مع الشعب، تنازل له عن العرش قهرا و بذلك خضع الملك لطلباته التي ألبسها چاشيندره ثوب المطلب الجماهيري المُلح و هو لم يكن في الحقيقة سوى مطمع شخصي، لم يكن إلا طلب خاص.

<u>الفصل الثاني:</u>

في القصر الملكي، جلس چاشيندره على العرش بثقة و بوضعية سيادية تعلو وجهه إبتسامة إنتصار لا يمكن هزيمتها أو محوها.. و بدأ في إملاء قوانينه على مساعده قائلا: "تعرف إنك الوحيد هنا في هذا القصر.. أتعي ماذا يعني ذلك؟"

رد مساعده: "لا، جلالة الملك!"

"هذا يعني إنك في خطر.. أي سر سيتسرب دون إذن مني، سأعدمك. أي خطأ في التنفيذ، سأعدمك. أي أمر أصدره يهمل، سأعدمك أنت.. أنت! أسمعت هذا؟"

"سمعت و فهمت!"

"تعرف إنك وحدك السلطة التنفيذية في البلاد؛ لا وزراء، لا حاشية.."

"و لا ملكة أيضا، عظمتك!"

"بالضبط! إخترتك أنت و أنت تعلم لماذا، أسرتك و أملاكك و حياتك و مصائركم، كل ذلك تحت يدي! أنت تعلم ما يمكنني فعله إذا خنت ثقتي بك."

"أعلم!"

"كل هذه مقدمات يجب أن أذكرك بها من حين لآخر حتى تعرف مقامك و لا تفكر أن تحيد عما أقسمت عليه."

"لن يكون ذلك أبدا، حياتي فداك، مولاي!"

"ماذا لدينا؟"

"لدينا الكثير من الخطط.."

"فلنبدأ بأهمهم!"

"الخطة التعليمية؟"

"آه، فلنبدأ من الصفر! أول جزء من الخطة.. فليكن العام الدراسي في فصل الصيف."

"صيف سوانتار؟!"

"و ماذا في ذلك؟"

"صيف سوانتار شديد الحرارة.. لدينا هنا البيات الصيفي، فمن يخرج ليقضي مصالحه في هذا الطقس يمرض و يتعرض لضربات شمس قاسية قد تنهي حياته و هم أطفال لن يتحملوا هذا أبدا."

"أين يعيشون؟ في سوانتار! يجب أن ننمي فيهم إنتمائهم لبلدهم سوانتار، يجب أن يحبوها في كل حالاتها، فما بالك بطقسها و شمسها؟ ألا نعلمهم هذه الأشياء في المدارس؟ فليكن مثل ما اقول. يعجبني معرفتك بكل شيء، ذلك ينم عن فضول.. أحذرك أن تستخدمه في شئون البلدة السرية.. لك أن تستخدمه كسلاح لمَلِكك فقط! مع ذلك، لا يعجبني تدخلك و دفاعك السلبي عن شعبي.. دفاعك هذا الذي أرى بوادره لا يريحني.. سيلقي بهم في الجحيم، إن تماديت في ذلك."

سكت المساعد لبرهة ثم إستكمل حديثه دون تعليق على موقفه عائدا إلى صلب الموضوع حتى لا يغضب عليه الملك إن تفوه بما لا يروقه قائلا، و كأنه يعرض حقائق بلا أي ميول أو إحساس: "بذلك ستضيع فرصتهم كلهم في التعليم."

"ستأتي أجيال أخرى، أليس كذلك؟ أجيال أشد و أقوى، أجيال تحب وطنها و جديرة به و بخدماته المميزة التي يوفرها لهم دونا عن غيرهم. شيء آخر، لا تجادلني! لا أحب أن أسمع آراء، أريد أن أسمع أرقام، نتائج، أخبار.. فقط لا غير."

"كلام سليم! ماذا عن الخطة الإستثمارية؟"

"سنعمل من أجل قوميتنا؛ سنأمم المحلات و الشركات الأجنبية.. ما على أرضنا هو ملك لنا."

"الضرائب؟"

"فلتزيد و تزيد.. يعيش فقط من يستحق العيش، هذا الذي يمكنه أن يجلب قُوته و يؤمن إحتياجاته.. ما الفرق بينه و بين غيره إذا لم ينجح في الإختبار اليومي للبقاء؟ و علام سيصرف أمواله؟ على بلدته التي يعيش في حماها و من خيراتها!"

"السياسة التمويلية؟"

"إجمع كل الأموال التي تسرى في الأسواق و التي تسكن جيوب المواطنين، فلم يعد لها أهمية، ما هي سوى ورقات منقوشة تعطي طابع المال و ما هي بمال."

"ماذا سنستخدم بعدها؟"

"الآن أنت تفهمني! ستسك عملة جديدة، لن يحصل عليها سوى من عمل لأجلها و كسبها."

"هنا سأحتاج أن ألقن الآلية الوظيفية.."

"هنا سأصدر قانون: "إذا كان لدى المواطن، طالب الوظيفة، أكثر من ثلاث أقرباء في المؤسسة المعنية و تتوافق طبيعة العمل فيها مع شهادته، كان له المنصب. أما غير ذلك، فيكون الملك وحده منوط بتعيين الموظفين الذين يراهم مؤهلين للعمل في هذه المناصب و الأولوية تكون لمن يثبت ولائه لي." فلنكتفي بهذا اليوم، فلنكمل لاحقا، سأرسل لك.. إنصرف الآن!"

خرج المساعد من القصر و هو يحاول ألا ينسى حرف مما قيل له.

إتكأ چاشيندره على أريكته و هو يشرب عصيره المفضل بإستمتاع لينال قسط من الراحة إحتاج له و هو يشرع القوانين و يفكر في أحوال البلاد كما يريدها من أحوال.

الفصل الثالث:

في إحدى البيوت السكنية، تعيش أترودين مع والدة زوجها المتوفى و أخته لاجدولين. كانت أترودين متوسطة البنية، شعرها أسود، عينان سوداوان، كانت تعمل في مزرعتها معظم الوقت، ليلا و نهارا، مما أكسبها القوة و التحمل و الجلد. كانت أترودين من أشد الداعمين للملك الأب.

في يوم من الأيام، زارها في بيتها أصدقائها، أريسبكتو و آرمشيو، كانت أترودين قد تعرفت عليهما في إحدى حفلات الملك، والد چاشيندره، التي كان يدعو فيها صفوة سوانتار ليقرب المسافة بينه و بينهم.

أريسبكتو كان متوسط البنية، شعره اسود، عينان سوداوان ثاقبتان.

آرمشيو كان ضخم البنية، شعره بني داكن، عيناه رمادية اللون.

كان يظهر على أترودين الحزن الدفين، لم تكن متحمسة لإحساس و لا مدافعة عن فكرة و لا مهتمة بشيء على الإطلاق بعد ما حدث في البلاد.

قال آرمشيو: "لم يتمهل الملك و لم يمهلنا فرحة التغيير!"

دخلت لاجدولين قائلة: "سمعت إنه يحاول أن يتحكم في المياه الإقليميه و حدود بلدتنا مع الدول المجاورة لنا!"

علق آرمشيو، ساخرا: "يريد أن يحقق إمبراطوريته! حلم طفولته!"

رد أريسبكتو: "من منا لا يحلم بتحقيق إمبراطورية؟ طالما يستطيع الوصول لمبتغاه، فحلمه حق له!"

قالت أترودين: "(مذهولة) حق له؟ (في حسرة) أيقنت إني أعيش في عالمي الوردي، مثلما قلت لي قبل ذلك، أريسبكتو، لكن عالمكم هذا لا يكف عن قذف كورات نارية على عالمي لتحرق كل أحلامي و تحول الوردي إلى لون الرماد ذاته بل ما هو أكثر عتمة منه."

عم السكوت لبعض لحظات، قطعته أترودين حينما إلتفتت لآرمشيو و وجدته ساكتا مهموما: "ماذا بك، آرمشيو؟ لماذا سكت؟ تبدو مهموما! ما الذي يشغلك إلى هذا الحد؟"

رد قائلا: "تم رفض جواز سفر أخي؛ ضاعت عليه الصفقة التي حلم بها و ضحى من أجلها بكل ما يملك."

سألته: "لِمَ؟"

قال لها: "ألا تعلمون؟ ملكنا العظيم قد قام بقطع علاقتنا بكل الدول التي تقع خارج نطاق سيطرته!"

تفاجأت أترودين: "كيف هذا؟ ببيان رسمي؟ فجأة؟"

شرح لها آرمشيو الأمر:"لا تحدث هذه الأمور فجأة! من المؤكد إنه قد أثار عداوتها أو إتهمها بإستهدافنا و خيانتنا."

تدخل أريسبكتو: "ما هذا الذي تقوله، آرمشيو؟ هناك بروتوكولات عالمية تنظم هذه العلاقات، لا تصدق كل ما تسمع!"

لم يرد عليه آرمشيو، نظر إلى أترودين منتظرا ردا منها، لكنه لاحظ إنطفاء بريقها، تردد أن يسألها، لم يدر آرمشيو إلا و هو يقول: "ماذا بكِ، أترودين؟"

أجابته لاجدولين: "ألا تعلم؟ فاتكم الكثير!"

شرحت أترودين الأمر في هدوء: "صادروا المزرعة! أصبحت الأوضاع أكثر تأزما."

صاح آرمشيو: "فلتجرف كل المزارع و الحقول، و تكون بور، فلن نحصد منها أي خير أو منفعة مهما تكون! كلما حاولنا نسيانه، قادنا كل حديث إلى سيرته. لم أعد أحتمل سيرته و لا شكله."

تدخل أريسبكتو قائلا: "فلنعطه بعض الوقت! كل ملك يلجأ لهذه الإجراءات الروتينية في بادئ الأمر لكي يستتب له الأمن و تستقر بلده و يخافه الشعب ليكون له هيبة و كلمة مسموعة فيما بعد."

علقت أترودين، ثائرة: "أنا أكرهه و أمقته و سأظل هكذا و لن أقبل به و لا بطرقه."

رد أريسبكتو: "إهدأي! لم يمت أحد لإنه كان محكوم بملك قوي!"

تعجبت أترودين، بغيظ واضح: "قوي؟ ألا تستطيع التمييز بين القوة و إستعراض العضلات؟"

حاول أريسبكتو أن ينهي المحادثة: "لن نسبق الأحداث!"

قالت أترودين: "فلندعو الرب أن ينقذنا مما ألم بنا."

قال أريسبكتو لآرمشيو: "فلنذهب الآن، لدينا الكثير من المهام."

خرج أريسبكتو و آرمشيو من بيت أترودين.. مشى أريسبكتو بعض الخطوات للأمام، وقف آرمشيو للحظات ثم قال لأترودين، التي خرجت مودعة لهما: "أتحتاجين مساعدة؟"

"أشكرك، آرمشيو.. أنا بخير!"

"يمكنني إزالة هذا القش (ناظرا في إتجاه كمية كبيرة مجتمعة من القش موجودة بجوار بيت أترودين)!"

"(مبتسمة) سأتولى ذلك! أشكرك!"

نظر آرمشيو في إتجاه الباب قائلا: "هذا الباب يحتاج إلى قفل أقوى و أكثر إحكاما، لا نعرف ما قد يحدث لاحقا من أحداث، يجب أن نتخذ جميع الإحتياطات الأمنية."

"سأشتري واحدا صباح الغد!"

"يمكنني أن أشتريه لكِ!"

"أتشك في قدراتي؟"

"لا، لا، كيف؟ أعتذر!"

"لا بأس!"

لاحظت أترودين خجل آرمشيو و تغير وجهه بعد رفضها مساعدته لها فقالت: "سيتعبك هذا!"

"أنا لا أتعب، فقط إطلبي ما تشائين، هذا إن أخطأت في فهم حاجتك قبل أن تقوليها."

"أنا مقدرة إهتمامك و مساعدتك و ..."

قطع كلامها صوت أريسبكتو العالي و هو يقول لآرمشيو من على بعد مسافة: "سنتأخر! أهنا سنقضي باقي اليوم؟ إسرع، ليس أمامنا وقت!"

قال آرمشيو لأترودين، سريعا: "إذا إحتجتِ أي مساعدة، تعرفين أين تجدينني!"

لحق آرمشيو بأريسبكتو و هو مبتسم، أحمر الوجه، يسرع خطوة و يبطئ الأخرى.

الفصل الرابع:

مرت الأيام و حدث ما زاد من سخط و غضب الشعب على حاكمه فقد تعرضت ثمان سفن متجهة إلى إحدى الدول المجاورة لها، بعضها محملة بالبضائع و بعضها مليئة بالركاب، لهجوم قراصنة البحر، كانوا قد إستولوا على البضائع و أخذوا الركاب كرهائن و طلبوا فدية لإخلاء سبيلهم و إذا لم يتم الدفع سيقومون بقتلهم. لم يعيرهم الملك أي إهتمام و تجاهل الأمر برمته.. فقتلوا كل الرهائن و دمروا السفن. تصدر هذا الحدث الأخبار و هيج الأجواء؛ إستدعى هذا لقاء آخر في بيت أترودين.

قالت أترودين لأريسبكتو: "كلمني عن ملكك القوي، ماذا فعل لسفننا؟ تم إختطافهم في هدوء تام بدون أي مقاومة، ألا تعرف لماذا؟ لا تأمين و لا حراسة و لا إهتمام بنا و لا إهتمام بأمننا. ماذا حدث بعد ذلك؟ سأسمع لك حتى النهاية، ألا تجد الكلمات المناسبة أم ضاعت منك الحقائق أم لم تصلك الأخبار كاملة؟ (غاضبة) قل لي ماذا حدث؟ قتلوا الرهائن، قتلوا الرهائن جميعهم! أتعلم لماذا؟ لماذا تمت التضحية بالأبرياء؟ لإن لا ملك لهم، لا وطن لهم، لا حماية لهم.. لم يعيرهم الملك أي إهتمام و لم يرسل لهم من يمكنه إنقاذهم من هولهم. ماذا تسمي ذلك؟"

رد عليها: "كفى! كفى! أعترف لكِ إنك كنتِ على حق! لكني لم أكن مخطئ، أنا كنت محايد لإني أخشى أن أظلم أحدا. كما إن خطوات الفرسان و كلماتهم محسوبة؛ لا يمكننا التسرع و إلا عمت الفوضى."

قالت: "ألازلت تخشى أن تظلم أحدا؟ راحوا الضحايا ظلما! راحوا بلا رحمة، بلا كرامة إنسانية.. راحوا و لن نقبل أي مواساة! البلدة تغلي الآن.."

"لابد أن نفعل شيئا!"

"نعم، لابد هذا! ماذا تنوي؟"

"لابد من الخلاص من هذا الظلم و الإستبداد .. بلا أية إستثناءات!"

تدخل آرمشيو: "إطمئن، لا إستثناءات! ألا تسمع كل يوم عن سلسلة الإغتيالات؛ أقرباء الملك يُقتَلون الواحد تلو الآخر، من المخطط لها غيره؟"

قال أريسبكتو: "لكننا إذا تسرعنا..."

علق آرمشيو: "هل يقبل الأمر قياس مدى سرعة الخطوات؟"

دافع أريسبكتو عن كلمته و رؤيته: "لا يمكننا التسرع.. سنعلن رفضنا للأوضاع.."

تدخلت أترودين: "و هل سيسمع لنا؟ أتحسبه ملكنا الذي إعتدنا عليه؟ أتمنى ألا يختلط عليك الأمر، الإبن ليس كوالده، ليس على مبادئه."

قال أريسبكتو: "سنتحرك، لكن لا يمكننا أن نتحرك وحدنا.. يجب أن يقف معنا الشعب و إلا سيكون هذا الإجتماع أخر لقاء لنا في هذه الحياة."

قالت أترودين: "إعترف إنه خطر! كيف يمكننا أن نحيا في وطن نخاف من حاكمه؟"

قال أريسبكتو: "أعرف و أعترف!"

ردت أترودين محددة موقفها: "أنا معك! ماذا ترى؟"

قال أريسبكتو: "سننتظر!"

علق آرمشيو: "ألا تمل الإنتظار؟ هل هذا كل ما لديك؟"

تعجبت أترودين: "أحد أفضل المحاربين يقول ذلك، هل أعتب على الشعب؟"

أجابها أريسبكتو: "لابد أن نأخذ إحتياطاتنا! ما الفائدة من التضحية بأنفسنا إذا قبل الشعب على نفسه الذل و الهوان؟ سننتظر حتى يرفع أحدهم العلم، علم بلدتنا في ميدان القصر، كإشارة لنا للبدء، علامة على الجدية و الجرأة و التضحية من أجل الوطن، وطننا جميعا."

قالت: "هاه، فلننتظر حتى تبدلنا الأبدية بأبدية أخرى!"

سخر آرمشيو من كلام أريسبكتو: "علام كل هذا؟"

رد أريسبكتو: "أنا أدرك ما أقول.. سننضم له و نؤمن الصفوف الأمامية و الخلفية و نغلق الجانبين بأسوار صناعية."

قالت أترودين: "ثقتك فيما تقول تبعث علي الطمأنينة."

قال آرمشيو بقوة و فخر: "سأتولى حمايتهم!"

إبتسمت أترودين..

و قال أريسبكتو، جديا: "و هو كذلك!"

قالت أترودين: "لكن كيف سنعلن عن ذلك؟"

رد أريسبكتو: "في أقرب فرصة.. و سأراقب الميدان كل يوم! إما أن أعلن عما توصلنا إليه أو أجد بالصدفة من يحمل علمنا شجاعة منه و رفضا لأوضاعنا. لكن.. يجب أن نتوخى الحذر!"

أكمل آرمشيو كلمات أريسبكتو قائلا: " و إلا سنكون بهذا نطلب رسميا طلبات إقامة في سجون..."

و أكملت كلماته أترودين، بنبرة حزينة: "سوانتار.. وطننا!"

صححها لها آرمشيو: "بلى، سجون چاشيندره.."

لم يكن هذا الحوار محدود لمسامع أفراده فقط، لكن سمعتهم لاجدولين وعرفت موقفهم من الأحداث. أسعدها هذا كثيرا فهي كانت تحلم بالخلاص لكنها خافت عليهم.. حاولت لاجدولين أن تجد حلا يدخل قرارهم حيز التنفيذ دون أية تضحية أو خطأ يعرض حياتهم للخطر.

الفصل الخامس:

من جهة أخرى، دار هذا الحديث بين وينرال، شوليث، و يومار.. و هم ثلاث أصدقاء إجتمعوا مع بعضهم البعض كما إعتادوا في بيت شوليث.. كباقي الشعب، الثلاث يهتمون بمصلحة وطنهم، لكن كانت لهم صلاحيات و ميول مختلفة.

قال وينرال: "ماذا؟ ألم تأتكم أية تعليمات؟"

رد عليه شوليث: "ماذا تقصد؟"

"هل سنسكت بعد هذا الحادث الأليم؟"

"إنه لحادث مأساوي يؤلم الجميع، لِمَ تأخذه هكذا و كأنه وقع لك شخصيا؟"

"وقع لأعز الناس لي شخصيا و قضى نحبه فيه. لم تعد القضية مسألة ملك و حكم، أصبحت القضية ذات أبعاد أخرى.. أصبحت تار، نار، و لا فرار من إتخاذ قرار."

سأل يومار: "أي قرار؟"

"الإنتقام! هل ستنتظرون أوامر أسيادكم؟"

تعجب شوليث: "أي أسياد؟ ما كل هذه الألغاز؟ كل منا يدعم عضو من أعضاء الصفوة، لا سادة فينا و لا عبيد."

"و أنا أدعم الحق، حق الضحايا، أدعم الحياة!"

قال يومار: "ماذا تريدنا أن نفعل؟ لن نضر بـ..."

"بمن؟ أي منهم؟ ماذا يرون لكي يتنازعوا على العرش و هو في قبضة من لا يرحم؟ قل لي! هذا سابق لأوانه و لا أهمية له!"

علق شوليث: "أشعر إن لديك شيء تتحدث و أنت مطمئن به و متوكل عليه!"

"لا شيء! لكن.. هناك من ينتظر الإشارة لكي يأخذ الخطوة التي نخشى نحن منها."

رد شوليث: "نحن لا نخشى شيئا، لكننا لن نقحم من وضع ثقته فينا فيما لا يعنيه و ما قد يهدم صرح أمجاده ويلطخ سمعته و تضيع كل مجهوداتنا؛ (همس) أنت لا تعلم شيء عن المستقبل. (بسخرية) و من هو هذا الشجاع؟ و ما هي هذه الخطوة؟"

"لن يقدموا على فعل شيء إلا بعد أن يعرفوا نوايا الشعب و يرونها بعيونهم. لابد أن نجد من يمثل الشعب.. هم يريدون من يقف رافعا العلم في ساحة ميدان القصر لكي يتحركوا.. و هم قوة لا يستهان بها."

"أنا لم أسمع شيء مثل هذا، كيف عرفت؟"

سكت وينرال للحظات و وجهه مبتسما إبتسامة حاول أن يخفيها.

قطع سكوته يومار قائلا: "لاجدولين!"

رد وينرال سريعا، نافيا: "لا، لا دخل لها في هذا."

سأل شوليث: "من هم؟"

رد وينرال: "فرسان سوانتار!"

قال شوليث: "هل أنت متأكد من هذا الكلام؟"

أجابه وينرال: "متأكد! هل ستسأل كبارك؟"

ثار شوليث قائلا: "أنسيت من نحن؟ في يدنا، نحن فقط، إقامة الإتصالات و المفاوضات بين الشعب و الجهة الحاكمة، أنسيت هذا؟"

"كان هذا في الماضي!"

رد شوليث: "و الحاضر و المستقبل!"

تدخل يومار: "فرسانك ليسوا أشجع منا!"

قال وينرال: "لن نقارن القدرات و لن نزن الشجاعة، فلنتحد! فلنفعل هذا لمصلحة الوطن! إكراما لضحايانا!"

قال شوليث: "لابد من التنسيق! متى؟"

"حينما يرونه.. في أي وقت.. لِمَ ليس الآن؟"

قال شوليث، مفكرا: "السؤال هو: من هذا الجريء الذي سيحمل العلم؟"

"سنجده، حتما سنجده! إن لم نجده، سأقوم أنا بهذا! لن يفرق ذلك معي!"

قال شوليث: "لا.. لن تقوم بذلك!"

"لِمَ لا؟"

رد شوليث: "بدأنا معا.. سنكون معا.. سنبقى معا.. و سننتهي معا."

شوليث و يومار، كلا منهما كان يدعم أحد أفراد الصفوة؛ إثنان من الصفوة سطع نجمهما فإلتف حولهما الشعب آملا أن يمثلاه في يوم من الأيام.. و بذلك أصبح دعم هذان المرشحان بعينهما مهمة أو منصب يتقلده من يثق فيه الشعب، و كان الحظ إن من إئتمنهم الشعب على أعمال الوساطة بينهم و بين القصر الحاكم كانوا من أكثر المساندين لهما مما جعلهما المتحدثين بإسمهما و المدافعين عنهما رسميا.

أما وينرال، فقد كان يحب لاجدولين و قد كانت مصدر الخبر بالفعل أي حلقة الوصل الغير رسمية. وينرال لم ير من الصفوة بجميع أفرادها من يرق للإلتفات له أو الإلتفاف حوله.

شرع الثلاث يبحثون عن الشخص المطلوب في كل مكان، ظلوا يلاحظون و يراقبون و هم يسابقون الزمن و يحاربون خيبة الأمل.

الفصل السادس:

في إحدى مطاعم سوانتار و الذي يمتلكه يومار، نشب شجار بين مواطنين، رجلين، على إحدى الطاولات؛ من منهما أحق بها.

الرجل الأول قال، هادئا: "لقد قمت بحجز طاولة عن طريق الهاتف، و لم تكن هي إختياري، لكن.. كان هذا إختيار العامل الذي تلقى طلبي.. ليس الذنب ذنبي!"

صاح الآخر: "إذن إتركها.. أنا أجلس هنا كل يوم منذ أن تم إفتتاح هذا المطعم السخيف!"

نظر الرجل الأول حوله، وجد المطعم مكتظ، فقال، راجيا، متسامحا: "الساعة قاربت الرابعة، الضيوف على وشك الوصول.. أرجوك، لا تحرجني أمامهم!"

رد الآخر: "لن أتنازل عن حقي! إذهب بهم بعيدا و لا تكرر مثل هذه الغلطة مرة أخرى!"

سمعهما أحد الجالسين في المطعم للنهاية و لم يعجبه الحال فتدخل قائلا: "لا داعي للجدال! لا شيء يستحق في هذه الحياة!"

كان إسمه نِرشيس، و هو رجل متوسط الطول، شعره اسود و عيناه بنية اللون.

تعجب الآخر من نِرشيس فقال: "ماذا تريد؟"

"أريدكما أن تصلا إلى حل، لا فائدة من المفاوضات الإحتكارية و لا الجدال السادي فأنا لا أحبذ تعكير صفو الغروب، الشمس سترحل حزينة، أنا لا أحبذ هذا على الإطلاق!"

قال الآخر: "(ساخرا) مجنون هذا أم .. شِعرَك سخيف و وجودك مزعج. في النهاية، هذا لا يعنيك! و ليست الشمس شمسك وحدك! عد مكانك!"

قال الرجل الأول لنِرشيس: "هل لديك حل؟"

"لدي كل الحلول! أولا، سأجلس بجواركما.. إتفقت مع صاحب هذه الطاولة (مشاورا على إحدى الطاولات أمامهما) أن يبدل معي، لم يعتبره عبء. ثانيا، لتنجح أية مفاوضات، لابد من الإختيار: الإلتزام بالمادة أم بالشعور؟ أستأخذ الطاولة معك و نأتي بغيرها في مكانها، أم سنأخذ الطاولة و نترك لك المكان تفعل به ما يحلو لك؟ أم ..."

قال الآخر، بغيظ: "أم ماذا؟ من أنت لتحكم؟"

"إسمع، يا من يجد وجودي مزعج و كلماتي سخيفة، لا ذنب لهذا الرجل فيما قررت إنه ذنبه و بذلك أيضا نصبت له المشانق النفسية و هو يطلب منك بكل إحترام أن تتنازل و تعطه حقه الذي لم يسلبك منه ، كل هذا حدث لأنه قدر إحساسك و تعلقك بالمكان، و أنت إنتهزت طيبته و شعوره.. إذا أردت الحل.. فلتجلس في أي مكان آخر و ليكن بيتك حتى تنتهي عزومته و تعود و تأكل هنا و تمرح و تفعل ما تشاء ثم تثبت هذه الطاولة في الأرض و تتفق مع صاحب المطعم أن يبيعها لك دونا عن كل مثيلاتها الموجودات بجوارها و ورائها و أمامها ثم تسجلها أنت كملكية

خاصة لك في الشهر العقاري أو لتذهب الآن بلا رجعة.. أترى؟ بهذا سينتهي الموضوع في الحال!"

لم يستطع هذا الرجل العنيد أن يكمل الحديث، فقد أحس بالإهانة، جلس بعيدا عنهما و طلب مشروبا ليهدأ.. و شكر الرجل الأول نِرشيس.. و منذ ذلك الحين، لم تتحرك عيني يومار عن نِرشيس.

عاد نِرشيس إلى طاولته يدندن بعض الألحان الكلاسيكية و كأن لم يحدث شيء.. و أكمل غدائه و هو مبتسم، يأكل و كأنه لم يتذوق مثل هذا الطعام من قبل و لم يجد في لذته مثيل.. كان يأكل بإستمتاع و كأن الأكل هواية و متعة.

بعد دقائق معدودة، وقف أمامه يومار و قال له: "أيمكنني الجلوس؟"

رد نِرشيس: "تفضل!"

"من أنت؟"

"أهم سؤال! تحتاج إلى سيرتي الذاتية! بإختصار، أنا سائح أطوف البلاد و لكني.. و لكني لسوانتار، لست بسائح!"

"كيف هذا؟"

رد بحماس: "أعشق بلدكم، أشعر و كأني عشت فيها منذ الأزل، تبهرني يوما بعد يوم..."

"غريب هذا! أتقرأ عيناي أم تقرأ الطالع؟"

"و ما الفرق؟"

"أنت تجيب على أسئلتي العامة الروتينية بما أردت أن أتبينه لاحقا، ما أردت بالضبط!"

"ها ها ها! هذه هي الفطرة، أنا أتحدث بالفطرة، من أين لي أن أعرف مقصدك؟"

"فطرتك! ما أدهى هذه الفطرة! ما أبهرها!"

"إهدأ! هي ليست بإختراع.."

"شرفنا وجودك في بلدنا، هل زرت كل معالمها؟"

"طبعا لا، لابد و أن أترك للغموض مجال حتى لا تُحرق البلدة بإنطفاء فضولي."

"هل إستمتعت؟"

"طبعا، هذا ما أبحث عنه!"

"لدي بعض الأفكار لك حبا في سوانتار و خدمة لك."

"لِمَ تقدم لي خدمة؟ كم تريد؟"

إبتسم و قال: "أريدك أن تخبر أصدقائك عن مطعمي، أبهذا إطمأنت؟"

"قل ما لديك.. بما إن طلبك عقلاني، فلتقل ما لديك!"

"ما هي غاية كل محب؟"

سكت نِرشيس يفكر، قطع يومار صمته و قال: "الإنتماء.. الإنتماء الرسمي إلى ما يحب."

"لا أفهم!"

"هل جربت أن ترفع علم سوانتار في شوارعها و ميادينها الرئيسية؟"

"هل هذا.....؟"

قاطعه يومار مرة أخرى و قال: "هذا يعطي أفضل شعور.. جربه و لن تخسر شيء.. ستنبهر!"

رد نِرشيس و هو مبتسم قائلا: "هذا هو عهدي بسوانتار! لكني لا أملك علما و لا أعرف أين تباع الأعلام و لا أعرف الميادين.... الرئيسية.. بالطبع أعرف ميادينها لكن بلا تصنيف لأهمية البعض على البعض الآخر."

"متى ستبدأ المغامرة؟"

"أهي مغامرة؟"

"حتما!"

"تعطها بوصفك هذا لذة المجازفة و الإستمتاع.. فلتكن الغد، عصر الغد!"

"فليكن! قابلني في أقرب ميدان للمطعم.. سأرسل لك العلم و سأحدد لك أهم ميادين سوانتار.. فليكن الغد موعدنا!"

عاد يومار إلى مكتبه، رفع سماعة هاتفه، طلب رقم، ثم قال: "وجدته! وجدته!"

الفصل السابع:

في ميدان القصر، خلف شجرة، وقف وينرال، شوليث، و يومار.

قال وينرال ليومار: "هل أنت متأكد إنه سيأتي؟"

"إذا كنت قد رأيت اللمعة التي كانت تضيء عينيه، كنت ستعرف كم أنا متأكد من مجيئه."

سأل وينرال: "هل عرف شيء؟ هل أوضحت له الأمر؟"

"أنبل الأفعال ذات النية الصادقة التي تخدم المصالح العليا ينبغي ألا يعرف فاعلها المبتغى منها."

تدخل شوليث: "المهم الشعب، الرهان عليه، الشعب وحده بثورانه هو وقود الحدث، إما سيشعله أو سيخمده."

رد يومار: "قضيت الصباح في الشوارع و الميادين الرئيسية، و نوهت عن الحدث حتى يكون له صدى أو على الأقل ليثير التساؤلات."

قاطعه شوليث: "إن حدث.."

أكد عليه يومار: "إن حدث!"

سأل شوليث: "ماذا قلت لهم؟"

أخرج يومار ورقة من جيبه، أخذها منه وينرال و قرأها بصوت عال: "شعب سوانتار، علمنا هو المخرج من أزمتنا، هو أملنا في نكبتنا، من منكم سيحمله و يعلن خلاصنا؟ فلننتظر.. فلنترقب.. فلننهي معاناتنا و ندعم و نساند بعضنا. لا تراجع من الآن، هذه هي بداية اللحظة الفاصلة! من هو بطلنا؟ من سينقذ سوانتار؟ مصيرها في أيديكم، لا تكتفوا بالمشاهدة و الإستماع، حان دوركم، حان وقت إتخاذ و تنفيذ القرار.. القرار قراركم، و البلد باقية لكم.. كما شئتم لها من حال."

علق شوليث: "جيد! جيد جدا!"

سأل وينرال شوليث: "و ماذا عن الوسطاء؟"

نظر شوليث في ساعته و أجاب: "إجتازوا بوابة القصر!"

علق وينرال بقلق: "مصيرهم معلق على هذا الشخص!"

قال شوليث: "معلق! فعلا معلق!"

تدخل يومار: "لا تقلقا! أرسلت له العلم و خريطة سوانتار مع الإشارة إلى الأماكن الهامة التي يمكن أن ينصفنا فيها الكثير من المؤيدين المتضررين من تردي الأوضاع."

قاطعه شوليث: "إن لاحظه أحد.."

أكد يومار على ما قال: "إن لاحظه أحد!"

إستكمل يومار كلامه بنظرية من نظرياته: "سيتغير مصير سوانتار بحب زائريها، فلا أمل في ساكنيها."

إعترض وينرال: "أو سيتغير مصيرها بحقد أعدائها المتربصين بها."

رد يومار: "قد يكون ذاك أو ذاك.. لكني أتحدث عن لحظتنا هذه!"

قال وينرال: "و هل تعرف نيته؟"

تدخل شوليث، متحدثا ليومار: "أنت تقرأ الكثير من القصص!"

أجابه يومار: "أنا أقرأ كتب المنطق الواقعي في علم التنبؤات."

كان لكل ميدان رئيسي معلم يميزه يجذب إنتباه الزائرين و المارين.. لم يكن قد رآهم نِرشيس من قبل، أخذ يتمعن في كل تمثال و المباني المحيطة به و هو رافع العلم؛ كان يعيش عمق اللحظة بطريقة شاعرية غامرة. مر على ثلاث ميادين و لم يبق له سوى ميدانين إثنين فقط و تنجز المهمة أو المغامرة.

و هو في الميدان الرابع، على صوت الجدال و إرتفعت الأصوات و تكثفت الأنفاس و تذبذب إنهماك نِرشيس في اللحظة و نظر خلفه لأول مرة في مغامرته تلك.. و إذ به يجد أعداد كبيرة من الجماهير تابعة له، و ما أن نظر لهم حتى إكتفى الكثير منهم بالسكوت و التحديق به. فقال: "ماذا يحدث؟ هل سيغير التمثال إتجاهه الآن؟ هل سيأتي الملك هنا؟ أظنني في المكان الخطأ، لكن الخريطة كانت واضحة و دقيقة، غلطة من هذه؟" لكن كان كالذي يتحدث مع نفسه في الزحام بين الناس، و لم يتلق أي رد.

حاول نِرشيس أن يشق طريقه من بين الحشود، لكنه فشل في ذلك فقد دفع للأمام عوضا عن ذلك.. و إستمر الدفع و هو لا يدري إلى أين، فقط رأى الحماس و الخوف في أعينهم، رأى التناقض كما يجب.. و التناقض حيرة أدخلته في متاهة التخبطات و الإحتمالات. إزداد الدفع برغم بطء حركة خطوات الحشود المعروفة بثقلها و بالخوف من مواجهة مصير لا يتمناه أحد فأسكنه في الكوابيس ليبعده عنه أقصى بعد.

توالت الخطوة بعد الخطوة، حتى وقفوا جميعا فجأة. نظر نِرشيس حوله لم يجد أي منفذ سوى الطريق إلى.. وجهة القصر.

و هكذا.. قادهم نِرشيس إلى القصر وفقا للعيان.. و وفقا للحشود المتجمعة ورائه هو المؤهل أو المضحى به ليقف في الصدارة.

في أحد أركان الميدان، كان أريسبكتو يزاول مهمته التي تعهد بها يوما بعد يوم. حينما رأى ذلك لم يصدق عينيه، سرعان ما إتصل بأترودين و آرمشيو ليحضرا للتو قائلا: " ستبدأ الحياة من اليوم، الحرية ستتحقق لنا اليوم، يهيئ لي ذلك.. لكني قد أكون في حلم، تعالا و شاركاني إياه."

بعد دقائق، قَدِم آرمشيو و معه أترودين و وقفا بجوار أريسبكتو خلف شجرة أخرى في محيط ميدان القصر.

قال أريسبكتو: "أتران هذا؟ هل هذه صدفة؟ كيف عرفوا بذلك؟ هناك خيط مفقود!"

علق آرمشيو: "لا يجب أن نضيع الوقت، هذه فرصة، فرصتنا الوحيدة!"

تدخلت أترودين، منبهرة: " بل.. هذه هي معجزة سوانتار!"

قال آرمشيو: "فلنضرب على الحديد و هو ساخن!"

قال أريسبكتو: "أترودين، إبقي هنا! راقبي الأوضاع! خبئي المستهدفين و الضحايا! آرمشيو، تعالى معي، فلنحوط الجماهير من الجانبين، الأشجار ستحميهم من الخلف، فلنقف في المقدمة على الجانبين لمواجهة الحراس، فالشعب أعزل. فقط من أخذتهم الحمية و تمكن منهم الإنفعال الأعمى هم من يقفون في الأمام بلا ساتر أو واقي، و الآخرون في الخلف يمكنهم الركد و الإختباء سريعا.. فلنؤمّن أولا من هم في مهب الريح و يقودون المسيرة، مؤكد إن من معه سلاح سينضم لنا؛ إذا كانوا فعلا يريدون الحرية مثلما صرحوا هم عنها بدون أي ضغط من أحد أو إجبار. فلننطلق الآن!"

<u>الفصل الثامن:</u>

في القصر الحاكم، جلس ملك سوانتار على عرشه و أمامه الوسطاء، وفد من الوسطاء يتكون من خمس رجال، يعرضون مطالب الشعب في خوف و توتر و محاولة إيجاد أفضل العبارات و وضعها في أفضل القوالب اللفظية بنبرة هادئة حفاظا على مفاتيح خروجهم من القصر سالمين.

قال الملك چاشيندره، بسخرية: "أتعجب من هذا الشعب! إنه يسخر من نفسه بإرسال بهلوانات يتحدثون بإسمه! هل أنتم أفصح الألسنة؟ هل أنتم أبلغهم قولا؟ ها ها!"

قال الوسيط الأول: "نحن نوصل رسالة الشعب لك، أيها الملك المبجل، إنها لمسألة ثقة!"

رد الملك: "ثقة؟ أي ثقة؟ أيعلم الشعب عما قدمتم لتقولونه؟ أي ثقة تتجرأ و تحاول هز حجر حكم سوانتار؟ أتحدثني عن دستور البلاد؟"

قال الوسيط الثاني: "طالبنا الشعب أن نتوسط لديكم لتعيدوا النظر في بنود الدستور."

"ماذا عن الدستور؟ ماذا عن بنوده؟ إنه منسق و مبسط و لا غبار عليه و لا عقدة فيه."

رد الوسيط الأول: "كله واجبات على الشعب، لا حقوق له فيه!"

"أي حقوق و أي واجبات؟ حاكمهم يرى إن أفضل حال للبلاد سيكون على هذا الأساس.. طالما يعيشون في رخاء، لا حق لهم في الإعتراض."

علق الوسيط الثالث: "و لا حق لهم في الحياة!"

نظر الجميع له كتحذير له بعدم التمادي في قول هذه الجمل الواقعية و التي يكون صداها كوقع الصاعقة.

رد عليه الملك بسؤال، و الغضب بدأ يظهر في عينيه: "من قال هذا؟"

قال الوسيط الثاني: "وحدك، يا ملكنا المعظم، تملك سوانتار؛ لغيت كل عقود ملكية الأراضي، لم يعد معترف بها."

"ألا أحكم البلاد؟ ألا يجب أن أملكها لأفرض سيطرتي عليها و أتابعها و أحكمها كما يجب؟ ها هم، يعيشون عليها، ما الشكوى إذن؟"

تدخل الوسيط الثالث مرة أخرى: "لهم في الأرض رزق، لهم خير، لهم حياة!"

"و هل يجنوا منها الآن الشر و البؤس و الموت؟ لم يغتر الشعب بنفسه و يطالب بما ليس من حقه و يُشعِر العالم إن كل مطلب له، مهما عظم، هو حق له؟ هذا كله لإني سمحت لهم أن يقفوا على أرضي، فغرسوا عصاهم فيها و تجرأوا على وليهم و ولي أمرهم، أبهذا يردون الجميل؟"

قال الوسيط الثاني: "جميلك كبير علينا، أيها الملك، لا أحد يمكنه أن ينكر ذلك."

"إذن ماذا تقول؟ ألم تسمع ما تقول؟ هذا هراء شعب لم يجد ما يشغله فتدخل فيما لا يعنيه و أزعج حاكمه الذي لا يهنأ له نوم إلا و قد غادرت أخر سحابة سماء بلاده، يالجرأتك أيها المحكوم!"

همس الوسيط الرابع لباقي الوسطاء: "يحكمها في الصيف فقط!"

رد الوسيط الأول: "لا جرأة لنا إذا لم تعطنا شرف سماعك لنا، مولاي."

"لا تكثر الكلام! أتدري ما الذي تفعله الآن؟"

أجاب الوسيط الأول: "أعيش أعظ..."

"تعيش! نعم، تعيش! إحمد ربك إنك تعيش.. كلمة أخرى و سأجعلك تبدو كالكاذب الذي يتفاخر بما ليس له. أتحدثني و تجادلني في الأوامر الإلاهية التي أتلقاها لكم و بشأنكم؟ أتعلم مدى الجرم الذي إرتكبته؟ قل لي أولا: هل أنت مؤمن أم غير ذلك؟"

قال الوسيط الأول: "ما شأن هذا، جلالتك، بدستور البلاد؟"

"أحكمك لتعيش على هذه الأرض، و لابد لك و أن تكون مؤمن! أنا لا أفرض عليكم شيء، أنا لا أتبع الأهواء كما يخال لبعضكم؛ أنا أحكمكم وفقا للأوامر الإلاهية التي توجهني و توجه نظام حكمي. ما لك أن تعترض؛ فما أتلقاه يفوق قدرتك أنت و من أرسلك على الإستيعاب. أنا لا أخضعكم إلا بأمر و حِكمة، و ها أنتم! ماذا فعلتم؟ تتمردون علي! تتمردون علي و ما أنتم بمصلحي زمانكم! تتمردون علي و كأنكم فراعنة خرجتم و عدتم و أتيتم لتحكموا ما كان لكم (بحرقة وغضب) و هو ليس لكم و لم يكن لكم أبدا. يجب أن أعاقبكم على ما تطالبون به. إذا كنتم أنتم، (بإحتقار) أنتم، من وثق الشعب فيهم، فقد خنتم ثقته لأنكم تعملون على هدم أواصل إتصالي مع الشعب، تعملون على الوقيعة بيني و بين الشعب، فلتكونوا عبرة لهم! يا حراس! خذوهم من هنا، ضعوهم في أي سجن من سجوننا إلى أن أبت في أمرهم."

صُدِم الوسطاء و عم الرعب بينهم. إنتشر الخبر خارج القصر و إجتاح الجماهير النبأ بموجاته من الجدية و الرهبة.

على صوت أحدهم: "إنهم بالداخل! إنهم بالداخل! تم حبسهم.. لا يمكننا التراجع الآن.. فلنصمد! فلنصمد!"

زادهم هذا النداء إصرارا على المواجهة و المضي قدما؛ البعض تقدم بعصيان خشبية و معدنية، فإنقض عليهم حراس الملك بالضرب.

لم تتراجع الحشود بل ثاروا أكثر حينما رأوا دماء زملائهم تسيل و كأنها ليست بدماء إنسانية مقدسة.

بعد دقائق وصل جنود الجيش و فرقوا بينهم و أصابوا من إعترض طريقهم بالسوط.

هاج الشعب و إزدادت أعمال الشغب و أصبح الجنود أكثر فتكا، و رويدا رويدا زادت دموية الأحداث و تعددت الخطايا.

في رد على تلك الهجمات الموجعة للشعب، انبطح البعض، هرب البعض، و قاومهم البعض الآخر. لكن لم يكن هناك مكان للإختباء و قد تفرقت الجماعات و تم كسر ما شيد على مر العصور و استخدم كسلاح حسب توظيف حامله له.

أصبح قائد الحركة و ضحيتها، كبش الفداء، تائه خائف مذهول مرعوب مشتت ضعيف لا حول له و لا قوة. فجأة إختفى نِرشيس من المشهد بلا أثر.

سفكت الدماء و لم ترجح كافة الشعب إلا بإنضمام حشود أخرى لهم، كانوا قد سمعوا بما حدث و لم يتركوا أهاليهم.

نشبت النيران و إزدادت قوة دفع الجماهير على باب القصر الملكي. إنضم لهم جماعات من الجيش بأن فتحوا لهم الطريق و لم يردعوهم أو يصدوهم؛ لم يتوحد الجيش ضدهم مما أدى إلى تراجع بقية وحداته لضعفهم أمام جموع الشعب.

فتحت أبواب القصر عنوة و إقتحم الشعب مقر حكم بلاده لهدفين: أولهما: تحرير الرهائن أي الوسطاء الذين تم حبسهم غدرا بدون أية إتهامات و بلا أية إستنادات على قوانين أو مواثيق. ثانيهما: للإنتقام من هذا الملك و إجباره على ترك القصر بلا رجعة.

بالرغم من ذلك، إمتنع آخرون عن دخول القصر؛ فقد رأوا فيه إنتهاك لهيبة بلادهم و خرقا لكل القوانين التي عرفتها البشرية. كان هذا الموقف بمثابة دعوة منهم للسلام الذي يأتي بالسلم و التفاهم؛ لم يقتنعوا بأن العنف و القسوة و الإستبداد لا يعترف بالمطالب و العهود و المفاوضات.

في النهاية، و بعد إقتحام القصر، لم يجدوا الملك؛ لم يجدوا أحدا بالداخل.. لم يتذكروا أي شيء من أهدافهم حينما رأوا محتويات القصر و ممتلكات الملك من أموال البلاد و كأنهم فتحت لهم أخيرا أبواب النعيم بعد فترة من التقشف و الفقر و الظلم و المهانة في ظل حكم الملك الهارب.

لم ينتبهوا لشيء سوى إنتزاع حقهم المادي كما زعموا بأيديهم بشكل مباشر؛ فلا جدال في حق. نهبوا كل شيء، كل ما وقعت عليه أعينهم حتى أصبح القصر ساحة واسعة بلا زينة أو هوية فقط مقر لحكم سوانتار يمثل و يعكس حال سوانتار.

حاصر الجيش القصر كما حاصرتهم ظلمات الليل و إستطاع أن يقبض على الملك خارج بوابة القصر أثناء محاولته الهروب متخفيا.

قبض الجنود على الملك بأمر الشعب برفضهم إياه و إعلانهم عن موقفهم بكل ما أوتوا من قوة، من صوت، من عتاد، بأقصى ما أوتوا من طاقة و مجهود.. و ما كان على الملك سوى الإستسلام إما لهم أو للموت.

لكن چاشيندره.. لم يرها النهاية؛ فالنهاية عنده هي الإنتصار.. و ما يحدث الآن هو مجرد مطب لمنعطف على طريقه للإنتصار. لم يتمكن من الملك اليأس و الإحباط، لكن تمكن منه الوهم؛ فهو الملك و سيظل الملك و سيعود لاحقا بأي ثمن، لكن لابد له من آلية أخرى و إعادة النظر في حساباته و محاسبة الخونة و العودة بصورة أقوى و أبهى.

ما أن رأى الشعب الملك مع جنود الجيش و هو يساق إلى السجن حتى إرتاحوا و هدأوا و عادوا إلى بيوتهم و تملأهم العزة و الفخر مع جروحهم النازفة.

تم حجز الملك دون محاكمة في أحد سجون القصر.. و ما أدهش الجنود هو عدم تفوه الملك بكلمة أو بحرف.

الفصل التاسع:

يعود الفضل في تأمين الحشود الأولى إلى حد كبير إلى آرمشيو و أريسبكتو، فقد ناضلا في هذه المعركة حتى النهاية.

أما من حالفه الحظ و إختفى من الساحة البربرية، فكان هذا يرجع إلى أترودين؛ فقد كانت تأخذهم إلى مكان كبيت تحت الأرض بطرق مبتكرة يغلب عليها خفة الحركة و قوة الجذب. كل من خبأتهم، ٦ أشخاص، إنتظروا ساعة الإفراج عنهم في صمت إلا... نِرشيس... و الذي بدا عليه الإرهاق المضني و التشتت و الرعب.

كان نِرشيس يقول: "أنا حي، أنا سليم، لم أمت، لكني.. لكني أصيبت.. لا، لا، لم يصبني شيء.. لازلت بوعيي، لا، راح وعيي.. رأيت الدماء تسال، أي بلد طوفت؟ أي ذنب إقترفت؟ جئت أفرح، جئت أتعلم، جئت محب لكم، لم آتِ لأُقتَل، لم آتِ لأعذب، لم آتِ عدو لكم.. بهذا إنبهرت، حقا إنبهرت، رأيت ما وعدتني إياه، رأيته و ما خلفت.. (قرب لأترودين) قولي لي من أنت؟ هل أنتِ منهم؟ من الجنود أم من الشعب؟"

ردت أترودين: "كلنا واحد!"

"من أنتِ؟"

"إسمي أترودين!"

قال نِرشيس، بنبرة حادة: "لازال السؤال بلا جواب! كيف جئت إلى هنا؟ ماذا حدث؟ و لِمَ أنا هنا؟ لِمَ إخترتني أنا لتأتي بي هنا؟ ماذا يحدث؟"

"إهدأ! أنا لم أخترك؛ أنت.. إخترت نفسك أو أعلن الآخرون خيارهم بك. لدي الكثير من المهام... إسمع، أنت بخير هنا، فلتنسى ما رأيت!"

"كيف ذلك؟ الأهوال قد تمحى من الذاكرة، و أنا أشك في ذلك، لكن مهما حدث فمن المستحيل أن يزول أثرها و بصمتها من النفس."

"لم يحدث شيء! أظن إنك أجنبي.."

"بعد ما رأيته، أظن ذلك أيضا!"

"(بفضول) أتحب بلدنا إلى هذا الحد؟ لِمَ كنت ترفع علمنا؟ المهم، لقد أجبرت الواعد على الإلتزام بوعده و قمت بالمهمة.. نأسف لما حدث لك!"

"أنا الذي آسف على ما فعلت دون أي سوء نية أو قصد!"

"لا تشعر بالذنب!"

"لكن أي مهمة؟"

"(مبتسمة) إيقاظ الضمير و الإنتماء، توحيد المقاومة، و إنهاء الظلم."

"هذه شعارات، ليست بمهمة! ما علاقة هذا بالعلم؟ لِمَ تتبعني الناس؟"

"كنت أملهم! و كان هذا فقط، ببساطة فعله و تعقد نتيجته، ما إحتاجوا إليه."

الفصل العاشر:

قضى صفوة سوانتار الساعات الأخيرة من الليل في جدال و مناظرات و حيرة.. من منهم الأصلح لحكم سوانتار و ها هي و قد أصبحت بلا حاكم. إجتمعوا في بيت أحدهم و معهم بعض الداعمين لهم و الذين كانوا مشغولين مع بعضهم البعض في الدفاع عن تعصبهم لهذا أو لذاك.

قال المرشح الأول: "هذا غير معقول، فلتسمعوا لي، فليعرض كل منكم ما عنده!"

علق المرشح الثاني: "هل هذا بمعرض قدرات؟ هذه اللحظة يمتلكها الشعب و سيحدد مصيره و حاكمه بنفسه. لا داعي للإستعراض و المناظرات!"

رد المرشح الأول: "هذا أمر لابد منه، كيف سيعرفنا الشعب؟"

أجابه المرشح الثاني: "بدوركم الغير موجود في تاريخ سوانتار!"

صمت الجميع للحظات.

قطع المرشح الثالث الصمت: "هذه هي اللحظة التي لطالما إنتظرتموها، لا تنكروا هذا!"

رد المرشح الرابع: "و لا تنكر إنك تريد أن تتظاهر بالتواضع و اللامبالاة بالحكم و العرش و إنك ستظهر الحقيقة للشعب و تحميه من أطماع الصفوة و تكون أنت وحدك الفارس النبيل الذي لا يريد شيء سوى مصلحة الوطن."

قال المرشح الثالث: "عرفتم حقيقتكم!"

تدخل المرشح الخامس: "ليس هذا مجال و لا مكان للتقليل من شأن أحد!"

علق المرشح السادس: "لِمَ تريد أن تنهي الجدال؟ نحن هنا وحدنا مع أشد الداعمين لنا الذين يعرفون حقيقتنا منذ زمن و هم متقبلين حقيقتنا كما هي."

رد المرشح الخامس: "ليس هذا موضوعنا! إلتزموا بالموضوعية!"

قال المرشح الثاني: "أي موضوعية؟ هذا شغب آخر!"

قال المرشح السابع: "أنا أنأى بنفسي عن كل شغب، لدي أعلى منزلة في الجيش و أنا أمثل الوقار و الحماية و النظام."

قال المرشح الثالث: "بدأ الإعلان!"

قال المرشح الرابع: "و ماذا عني؟ لدي خبرة لسنوات في التكنولوجيا الحديثة، أنا أمثل الراحة و الرفاهية و المستقبل!"

قال المرشح السادس: "و ماذا عن العلم؟ أتنكروا فضله؟ علمت أجيال وقفت هذه الليلة و هزت الأرجاء.. و الآن إنتشرت الأمية و لابد من ردعها و القضاء عليها، هذه هي الأولوية.. بالعلم وحده ترتقي الأمم و تكون لها قيمة و قوة و هيبة و منزلة."

قال المرشح الثامن: "و لازال قلمي دائرا ثائرا يرصد أخطائكم جميعا و يبني أجمل الأحلام للشعب و يواسيهم في خيباتهم من أمثالكم.. أنا المقاومة، أنا التفاؤل، أنا الحلم الذي سيُحقق."

قال المرشح الخامس: "إنتهيتم؟"

رد المرشح الثامن: "لا، لازال المزيد عندي يتدفق و أمنعه حتى تكون المنافسة عادلة.. (بتكبر) حسب المعايير التي أراها ظاهرة."

أجابه المرشح الخامس: "أشكرك!"

تدخل المرشح الثاني: "كل واحد منكم يحسب إن الحُكم سيمكنه من أن يفعل المستحيل، لِمَ لا تقوموا بكل هذا في مواقعكم؟ فقط، على الأقل، في مجالاتكم.. أين رؤيتكم؟ أتعرفون كيف هو الوضع؟ أيمكنكم إدارة بلد؟"

قال المرشح الأول: "و النتيجة؟"

رد المرشح الثاني: "لم ينجح أحد!"

تدخل المرشح السابع: "من نجح إذن؟ ستحكم سوانتار نفسها؟"

أجابه المرشح الثاني: "لا أنا، و لا أنت!"

قال المرشح السادس، بعند و تمرد: "فعلا، لن يحكمها أحد!!"

قال المرشح الأول: "و الحل؟"

رد المرشح الثاني: "أي شخص آخر!"

قال المرشح الأول: "ها ها ها، لا يوجد أي شخص مؤهل من الشعب."

أجابه المرشح الثاني: "لكن هناك من أهله الشعب لذلك!"

قال المرشح الثامن: "أتقصد...؟"

رد المرشح الثاني: "نعم! الشعب سيظل متمسك ببطله للنهاية، أتحسب إن المشهد قد زال من الأذهان؟ لهذا أقول لكم لا فائدة من الحوار، (همس) خبئوا أطماعكم، فرصتكم في المستقبل، ليست الآن."

قال المرشح الثامن: "لن نرضى به في كل الأحوال!"

قال المرشح الثاني: "كن أنت الحاكم و سترى تزعمه هو المعارضة الغالبة و بقوة.."

إنسحب المرشح السابع من ساحة الحوار في هدوء و هو متجهم.

قال المرشح الثامن: "إذن فليحكم هو!"

قال المرشح السادس: "فليحكم هو!"

قال المرشح الثامن: "لكنه.. أظنه أجنبي!"

رد المرشح الثاني: "هذا هو المبتغى!"

سأل المرشح الثامن: "كيف هذا؟"

شرح المرشح الثاني وجهة نظره: "لن يسلم من الشك و سيظل الإتهام بالخيانة شبح كابوسي يطارده أينما ذهب و مهما فعل.. إصبر!"

سأل المرشح السادس: "لكن لن يحكمها أحد، صحيح؟"

قال المرشح الثاني: "سيحكمها هو.. لا تقلق لن يحكمها أحد منا!"

قال المرشح الثالث: "أهذا ما يهمك؟ لخصت ساعات الجدال كلها!"

الفصل الحادي عشر:

في صباح اليوم التالي، حزم نِرشيس أمتعته و خرج من الفندق الذي كان يمكث فيه متجها إلى المطار.. لكن خطر على باله أن يذهب إلى مكان آخر قبل الرحيل.

أخذ يسأل و يسأل على بيت أترودين حتى دُلَ عليه.. طرق الباب، فتحت له أترودين، قال لها: "إنقلبت أحوال البلد، سأذهب بعيدا.. رحلتي إنتهت عند هذا الحد؛ إكتفيت بما رأيت فقد شاهدت ما لم أشهده قط من قبل. حتى و إن حكوا لي الروايات و إختلفوا و إجتمعوا على بعض الأحداث و النقاط، كنت سأكذبهم جميعا بلا شك، لكني الآن أنا الراوي، أنا الشاهد، أنا من عاشها، لكني.. لا أفهمها.. أللعلَم سحر خاص؟ أبهذا يتغير التاريخ و تنقلب الآيات؟ أصبحت أصدق الخيال أكثر من أي شيء يقال!

على كل حال، جئت لأشكرك على ما فعلت! لقد أنقذت حياتي! كدت أموت! ما أبشع وحشية هؤلاء الجنود! لا ثمن عندهم و لا قيمة لإنسان و لا تقدير لحياة. اعذريني إن كنت قد جرحتك، أعتذر! لقد كان حالي يرثى له و أفكاري مبعثرة و كلماتي فظة و نبرتي حادة. أنا لا أعرف كيف أرد لكِ الجميل. حتما سأراكِ مجددا فعلى إتساع الكون يكون صغره من أعجب العجائب خصوصا لقاء من توقعنا إن وداعه هذا كان الأخير.

أشكرك مرة أخرى و أتمنى لكِ كل خير و سعادة! فليباركك الرب!"

أدار نِرشيس وجهه ليذهب.

ردت عليه: "علام تشكرني؟ سوانتار كلها هي التي عليها واجب الشكر. قد لا تفهم ما فعلت، و قد تكون الأحداث تسارعت و تصارعت لتقع البقايا محطمة في مشهد واحد يثير الرعب. لكنك أنت.. أنت وحدك الآن صرت بطل سوانتار بلا منافس أو منازع لك."

"كل ما فعلت هو إني قد حملت علم بلادكم، أبهذا يكون البطل عندكم؟"

"في هذا الوقت بالتحديد، نعم، هذا فقط كفيل بأن يجعلك تُحمَل على الأعناق لسنوات و سنوات. لقد أعدت الأمل، لقد بعثت فينا الحياة من جديد، لقد تحديت العدو، كنت أشجع من وقف على هذه الأرض.. قد يكون حظ، قد يكون عدل، لكنه قدر و صورة ستبقى في الأذهان أبد الدهر."

"بالرغم من إني صرت أبغض صاحب الفكرة، لكنه كانت لديه نظرية؛ لقد كانت مغامرة.. لكني لازلت لا أفهمها."

"من هذا الذي نصحك؟"

"صاحب مطعم هنا في سوانتار!"

"كيف عرف.. أقصد كيف أتت له هذه الفكرة؟"

"أراد أن يبهرني أكثر ببلدكم و قال إنها خدمة لي.. أي خدمة هذه؟

يجب أن أذهب الآن، ستفوتني الطائرة!

كلمة أخيرة، حافظوا على بلدكم، إنها رائعة الجمال و تعلق القلوب بها و تشعل الحواس و تخطف الألباب."

بَعِدَ نِرشيس عن بيت أترودين بحوالي ستة أمتار و ما أن وصل إلى نهاية الشارع حتى قابله أربعه من الصفوة و هم: المرشح الأول، الثاني، الخامس، و السادس.

قال المرشح الأول: "أين تذهب، أيها البطل الشجاع؟"

رد نِرشيس، بنبرة حزينة: "أذهب إلى المطار!"

قال المرشح الخامس: "لا، لا، لن نتركك تذهب! و إلى أين تذهب و هذا وطنك؟ أثبت ذلك بتصرفك النبيل.. فإن دل ذلك فلا يدل و لن يدل إلا على إنتماء من الصميم، طبيعي، غير موجه و لا مشروط. كنت قائدنا بشهادة الشعب و ستكون ملكنا، لا غيرك سيدخل هذا القصر.."

أكد المرشح السادس، بقوة: "لن يدخله.. غيرك!"

سمعت أترودين بعض الأصوات و المحادثات في الخارج، ففتحت الباب و خرجت، فوجدت نِرشيس و حوله بعض الوجوه الشبه مألوفة لها و بعض الأفراد الآخرين الذين أحاطوا بهم.

رد نِرشيس: "لا يمكنني هذا! أنا أعتذر! كانت صدفة غريبة، صدفة قدرية.. لا أعلم هل لي أن أهنئكم على ما آلت إليه الأمور أم أواسيكم على ما فقدتموه!"

قال المرشح الثاني: "إبق معنا! فقط إبق معنا! هذا هو قرار الشعب! قرار سوانتار! كنت رافعا علمها، ألا تحبها؟ ألا تحب أن تعيش فيها و لأجلها؟ لا تضيع فرحتنا أرجوك و لا تُفسِد لحظة رفعك علمنا و اللحظة الفارقة في حياة سوانتار برفضك الغير مبرر.. نرى فيك المستقبل."

قال نِرشيس: "سأقبل بشرط واحد!"

لمح نِرشيس أترودين تنظر إليه حينما نظر هو في إتجاه بيتها، فإستطرد قائلا: "(و هو ينظر إليها) إذا وافقت من أنقذتني أن تكون الملكة! (قرب منها أكثر مصحوبا بالمرشحين و الأفراد الآخرين) إذا صرت ملك سوانتار و جلست على عرشها، هل تقبلين أن تكوني الملكة و صاحبة العرش؟ أترودين، هل تقبلين الزواج بي؟"

إبتسمت أترودين و فكرت لبضع دقائق ثم أومأت برأسها معلنة موافقتها.

قال نِرشيس، مبتسما: "بهذا أقبل عرضكم!"

فرح كل من كان واقفا في المكان و متابعا للأحداث، و تجمع المزيد مع الحاضرين و حينما عرفوا بالخبر، هتفوا له و حملوه على الأعناق.

سأل المرشح الأول: "و ما إسم ملكنا؟"

رد نِرشيس: "نِرشيس كرينتال"

غطت الفرحة سماء سوانتار، و لونت شوارعها بأزهى الألوان، و عم التفاؤل جميع الأرجاء.

بالرغم من هذا، دارت بعض الأحاديث تعليقا على تولي نِرشيس الحكم ، منهم هذا الحديث.

قال أحد المواطنين: "كنت أتمنى أن يحكمنا الدهاء الحربي!"

رد آخر: "أُفضِّل آرمشيو! واضح.. صريح.. طيب!"

"قد يكون مساعد لأريسبكتو.. ألم تر كيف حمانا و نحن في أشد الحاجة لخطة أمنية تقلل من خسائرنا؟ كان له تكتيك واضح و محكم.. كان هو القائد الحقيقي للحشود ببساطة لأنه هو أدهى الفرسان.. لكن القوة ليست بميزة، لم تعد كذلك.. تجدها هنا و هناك.. لا جودة فيها و لا تميز و لا إندهاش."

"لازلت أفضل آرمشيو! لا نحتاج لألاعيب و مناورات، نحتاج قوة إرادة و وضوح. في القوة هيبة! كما إننا في حالة سلم، نشكر الرب! نحتاج من يمسك مقاليد الحكم بقوة و يمضي بنا قدما. و لو تحدثنا عن هذا اليوم، كان لآرمشيو الفضل في حماية الكثير، فقد تلقى هو العديد من الضربات بدلا من الكثير، صد عنا الكثير من الهجمات."

"و ماذا عن نِرشيس هذا؟"

"قَدِمَ من.. اللا مكان!"

"لا نعرف عنه شيء!"

"لكن أترودين معه.. هي وطنية من الطراز الأول، ستوجهه!"

"أترى ذلك؟"

"نعم.."

"لكن أريسبكتو..."

"كان معنا و سيكون معنا.. و إن كان العرش مكتوب له في وقت ما أو مكتوب لآرمشيو، فسنقف معهما.. الآن أترودين في سدة الحكم، إطمئن! لن نخسرهم!"

"أتمنى هذا!"

"فلتعيش سوانتار!"

"فلتعيش و لتحيا سوانتار!"

و حديث آخر في مكان آخر في سوانتار...

قال أحد المواطنين: "أتوا بأجنبي غريب يحكمنا! ما بال هؤلاء؟ هل إنقرضت فصيلة الحكام من شعبنا؟"

رد عليه آخر: "ما العيب فيه؟ لقد أنقذ وطننا الذي تقاعسنا نحن عن حمايته. سنشهد طفرة في بلدنا، سنُخلق من جديد! ألا تعلم إن تخلف بلدنا فاق كل القارات مجتمعة؟"

"من تخلُّف لتخلُّف.. و من صفوة متخبطة لصفوة فاسدة! كيف أتته هذه الشجاعة و الجرأة أن يرفع علمنا في ميدان القصر؟ ما مصلحته من ذلك؟ ماذا يخطط؟ و تكثر التساؤلات!"

"أجنبي أحب البلد و عبر عن حبه و إنتمائه لها، و أتى في سنتنا هذه في شهرنا هذا.. كان هذا العلم بمثابة شعلة النور على درب تاريخنا، أحبَّ الشعب و الشعب أحبه! لا تكن متشائما! ستتحسن الأوضاع، أشعر بهذا! فلنحتفل، حُرِمنا من الإحتفالات منذ زمن!"

"و ما الداعي من الإحتفال إذا كانت ستتكرر النكبة؟"

"ليس بيننا و بينه أية عداوة! و لِمَ سيشوه سمعته و تاريخه؟ أجده متفتح العقل!"

"العرش يغير النفوس!"

"إذن سنثور مرة أخرى و نحتفل!"

"بهذه البساطة؟"

"و أكثر! إمرح الآن.. إن كنت متشائم، فلتمرح الآن قبل فوات الأوان.. و إن كنت متفائل، فلتمرح بما سيقدم من خير بمشيئة الرب."

<u>الفصل الثاني عشر:</u>

دخل نِرشيس و أترودين القصر بعد أن أعاد الأمن محتوياته و بدأت حياة جديدة لكل من نِرشيس، أترودين، و شعب سوانتار. قضى نِرشيس الساعات الأولى من تواجده في القصر ينظر حوله بتمعن و إنبهار.

قالت أترودين: "في لمح البصر، أصبحت الملك! طائرتك لم تعيدك إلى بلدك، طائرتك تركتك هنا لترتفع أنت لأعلى المنازل في سوانتار. لكني أتعجب.. هل تعرف تاريخنا؟"

"أحترمه و أحب أن أعيشه، لذا سيبدأ من الآن!"

"هل تعرف طبيعة شعب سوانتار؟"

"ستعينيني على ذلك! فأنا أنوي أن أُقدِّم لهم الأفضل و هذا ما تريدونه من الحاكم، أليس كذلك؟ سأفتح الأبواب لسوانتار، سأوفر للشعب كل ما حُرِم منه! لن يعرفوا سوى الأفضل.. الأفضل من كل شيء و الأفضل في كل شيء! سيحبون الحياة معي.. معي فقط! فأنا أعرف الغاية من هذه الحياة و السبيل لها، فلتشهد سوانتار عصر جديد! طالما إختارتني أنا، فلأكن أنا الحقيقة، لا خيار و لا مجرد تفضيل."

"لطالما كانت سوانتار همي في هذه الحياة، أنا أراهن عليك، لا تخذلني.. و سأعاونك قدر المستطاع."

الفصل الثالث عشر:

مرت شهور على سوانتار في حكم نِرشيس.. و مرت أيضا على چاشيندره في منفاه المعنوي على أرض وطنه.. لم يكن وحيدا، كان معه مساعده.

"لِمَ لا تتمرد علي؟ ألم تشرب من أنهار سوانتار؟ ألا تتنفس هوائها؟ أم ستغدر بي و تسميه تمرد؟ سبقوك و تمردوا، ماذا تنتظر؟ الإذن مني؟ فلتتمرد علي كتمرد الإنسان على كونه! فلتتمرد علي كتمرد الصبار على الصحراء!"

"لن أتمرد عليك، أيها الملك! لن يحدث هذا أبدا!"

"لِمَ لن يحدث؟ ألازلت تخشاني؟ أم إنك وفي؟ أم ترى ما لا أراه أنا؟ أم تدبر شيء؟ ربما!"

في هذه الأثناء، قطع حوارهم دخول أربعة جنود عليهما.. ظل الملك جالسا مكانه، لم يتحرك، بل رفع رأسه في تكبر و إعتزاز.

قال الجندي الأول: "ملكنا العظيم!"

رد چاشيندره: "العرش لم يعد بحوزة ملوك سوانتار.. ماذا تريد مني؟"

قال الجندي الثاني: "نريد أن نعيد الحق لأصحابه و نعيد سوانتار إلى صوابها و نعلن إنتمائنا."

"إنتمائكم! إلى الملك الشعبي الغريب أم إلى الملك الأصلي الأعظم؟"

رد الجندي الأول: "ننتمي إلى قائد بلدنا!"

"إذن لماذا جئتم هنا؟ لِمَ تناديني بالملك الأعظم إن كنت غادرا ماكرا جاحدا لا تعترف بي ملكا لكم؟"

علق الجندي الثاني: "لن يصبح الملك عبدا، لن يصبح العبد ملكا."

"(بغضب شديد) ما أنا بعبد، أيها الأحمق الأبله! و للأسف هو ليس بعبد هو شخص حر إنتهازي أتته فرصة لم يحلم بها هو و أجداده أجمعين!"

قال الجندي الثالث: "ستعود، أيها الملك، إلى عرشك.. لابد و أن يعود إليك ملكك!"

"كيف هذا؟ و ما لكم فيه؟"

أجابه الجندي الثاني: "هي مسألة إنتماء و قسم.. نحن جنودك المختارون!"

"غريبة، أنا لم أختر أحدا. تزعمون أن عائدكم معنوي، لا يقنعني هذا، على كل حال... ماذا لديكم؟"

قال الجندي الثاني: "لدينا صدفة جديدة تحارب صدفة قديمة!"

"أتعني حرب الصدف؟ أنا أعزل أيها الجندي، هل أنت بكامل قواك العقلية؟"

قال الجندي الرابع: "ثق بنا!"

"و ما الذي سيقنعني بأن أعطيكم الثقة؟"

قال الجندي الثالث: "إمهلنا أيام.. دعنا ننسج الخيوط و نعيد المشاهد. فلنبدأ نحن بما وجدناه و تحكم جلالتك على محاولتنا ثم تقود الدفة.. دفة الحق إلى النور. ستظل الملك حتى نهاية سوانتار و إلا لا عيش لنا في هذه الحياة."

"أتعلم؟ إن كنت الآن، في هذه اللحظة قبل حدوث هذه النكبة، جالسا على العرش لأمرت بقتلك لوفائك و لتنفذ هذا العهد الذي قطعته على نفسك. إذهبوا و إثبتوا لي ما جئتم به!"

في الجانب الآخر من سوانتار، جلس أريسبكتو و آرمشيو في بيتهما في غرفة المعيشة المضاءة بنار التدفئة..

قال أريسبكتو: "أخذ منا العرش!"

قال آرمشيو: "(سارح) أخذ منا أترودين! ماذا؟ و ما لنا فيه؟"

"ألسنا حماة العرش؟ ألا تغير على بلدنا؟"

"أتغير منه؟"

"و ماذا لديه لأغير منه؟ لو كان قوي، لإستاء الشعب.."

ثم سكت للحظات، قال بعدها: "قدم في زيارة و مالبث أن إنقلبت إقامة، و بدلا من أن يخرج من بلدنا بالهدايا التذكارية، لم يخرج منها إلى الآن بل و أخذ منا العرش، و الشعب.. الشعب سعيد بذلك و راضي به، هذا مكر، لا تقول لي سطحية أو حتى حسن نية، أنا أستبعد كل هذه الإفتراضات، هذا هو المكر نفسه."

"أظن ذلك أيضا! (بنبرة حزينة) لقد أخذ أترودين!"

"أترودين.. أترودين.. أترودين.. فلتذهب بلا عودة، لقد تركتنا، لقد خانتنا.."

"لا، لم تخوننا!"

"(بحزم و غضب) لن أتحدث في هذا الموضوع مرة أخرى!"

قام أريسبكتو و خرج من غرفة المعيشة تاركا آرمشيو في حزنه و مع حسرته.

الفصل الرابع عشر:

في إحدى حقول سوانتار في وقت الظهيرة، و قف مواطنان يتحدثان عن أحوال بلادهما..

قال المواطن الأول: "و لِمَ تحتاج أن تبحث عن شيء؟ كل السلع بكل أنواعها من كل دول العالم لدينا هنا في أسواقنا بأعلى جودة و أقل الأسعار.. إنها حقا منتجات رائعة و مريحة!"

رد المواطن الثاني: "لا تُذكِّرني، أرجوك! ضاعت كنوزنا الزراعية و الصناعية! سلعنا المحلية توجد الآن إما في المخازن أو في سلة المهملات.."

"هذا يدل على ضعفها في المنافسة و قلة جودتها.. و بأعلى الأسعار، علام؟ هذا هو عقاب الإستغلال."

"حتى الأراضي، ما أن سعدنا برجوعها لنا حتى أخذت منا بحجة البناء عليها لزيادة أعدادنا. بوروا الأراضي و لم يعد منها ما يدب حياة."

"هذا ما كنا نقوله، لا حاجة لنا بهذه المحاصيل، يمكننا أن نستورد كل الأصناف و النباتات.. هذه راحة لنا!"

"راحة لنا مؤقتة.. ندفع من أجلها كل أموالنا!"

"عادت لنا أموالنا.. هذه أموال البلد و البلد ملزمة بتوفير كل إحتياجاتنا، لِمَ أنت قلق؟ ألا تزال حزين على فراق إبنك؟"

"ذهب و إنقطعت أخباره!"

"لا تكن يائسا هكذا! ذهب ليتعلم و سيعود، لا تقلق!"

"لا أعرف لِمَ لا تُفتح المدارس هنا و يتعلم أولادنا معنا؟"

"و من سيعلمهم؟ و ماذا سيتعلمون؟ ظروف بلدنا هي التي دفعت بالحاكم لإتخاذ هذا القرار، فهو يريد بنا الأفضل، الأفضل دوما."

إنضم لهما مواطن ثالث.

سأله المواطن الثاني: "كيف حالك؟"

"أفكر أن أسافر!"

قال المواطن الثاني: "لِمَ؟"

"عادت علاقتنا بالعالم، أفتقد العالم، أريد أن أرحب به!"

قال المواطن الأول: "و ماذا عن وظيفتك الجديدة؟"

"مسلية و مربحة.. لكن عرفنا بعد ذلك لِمَ: لا تأمين.. لا تثبيت.. لا حماية!"

قال المواطن الأول: "سمعت إن الإستثمارات الأجنبية قد زادت بعد ضمانات الملك لهم، لديهم كل الحق؛ ما فعله الملك السابق كان كالضربة القاضية لهم جميعا."

قال المواطن الثاني: "كل ما أريده هو أن يعود إبني، لا أريده أن يتعلم، يكفي هذا.. يكفيه أن يعرف كيف يقرأ و يكتب؛ معه مفتاح بوابة العلم و المعرفة، لِمَ تركني إذن؟ فليعلم هو نفسه بعدها، من منا لازال يتذكر مناهجه الدراسية؟"

رد المواطن الأول: "يقولون إن في هذا إفادة للبلد؛ فسيعود جندي العِلم.. سلاحه العِلم و رايته العِلم ليرفعها على أرض بلاده.. سيعلم أجيال!"

علق المواطن الثالث: "أتصدقون هذا؟ لن يعود، لا تنتظر طويلا! فقد إزدادت أعداد جوازات السفر.. خروج، خروج، خروج..في الخارج فرص أفضل، ألا يقدم الملك الأفضل؟ (للمواطن الثاني) ألا تنظر حولك و أنت منتظر؟ فقدت هويتنا.. ضاعت عمالتنا.. سلب أبنائنا.."

عم الصمت للحظات..

قطعه المواطن الثالث: "لازال الإنتظار هو الحدث الأكبر و الأطول في حياة كل إنسان، لعله يأتي بفائدة، لعله يطرح الثمار من عدم. ألا تعلمون؟ صار لعرشنا وريث!"

قال المواطن الثاني: "وريث؟ صار للملك إبن؟"

"نعم! أقول لكم الأخبار حصريا حتى لا تتفاجأوا."

قال المواطن الأول: "فلندعو الرب أن يحقق لنا الخير في كل الأحوال."

قال المواطن الثالث: "آمين! الحرب قادمة!"

قال المواطن الأول: "كيف عرفت؟ كيف تصلك هذه الأخبار؟"

"لي مصادري الخاصة! أقول لكم قادمة و هي قد بدأت بالفعل بالبلدة التي بجوارنا، و ستمتد لنا هنا فجيشنا يحارب هناك.. يحارب جوريولوت على أرض هارسيماس."

"جيشنا يحارب؟ هل هذا معقول؟"

"كانت الحرب بين هارسيماس و جوريولوت في البداية، لكن جوريولوت كانت تهاجمنا بين الحين و الآخر في حربها على هارسيماس."

قال المواطن الثاني، متعجبا: "لِمَ نشبت الحرب من الأساس؟ أنا لم أسمع عن هذا قط!"

"هذه أمور سرية، لا يجب أن يعرفها الشعب لإنه لن يهدأ و ستتدهور الأحوال و تتعقد الأمور أكثر و أكثر."

سأل المواطن الأول: "هل سننتصر؟"

"هناك لحظات هزيمة و لحظات إنتصار، لم تنتهي الحرب بعد، لم يضرب جانبا منهما الضربة الموجعة التي لا صد لها و لا رد.. بل أصداء و أصداء."

قال المواطن الأول: "فلندعو الرب!"

و عم التجهم و الحسرة و الخوف وجوههم و بدأ الصمت.

الفصل الخامس عشر:

مرت أسابيع في حرب غير معلنة بين سوانتار و جوريولوت على أرض هارسيماس. لم يعرف بها الشعب رسميا إلا بعد إنتصار سوانتار.

في قصر سوانتار ليلا، كان يبدو على أترودين القلق و هي منتظرة رجوع نِرشيس القصر و ها قد عاد و هو مشغول البال..

سألت أترودين: "ماذا حدث في المؤتمر؟"

"ذهبت هناك مرفوع الرأس فأنا أمثل سوانتار التي إنتصرت في الحرب و أصبح لها هيبة و قوة بين البلاد، كنت محضر مطالبنا أولهم مقاضاة جوريولوت. فجأة، علت الأصوات و زادت المهاجمات و إذ بجوريولوت تقلب الحقائق و تتهمنا بالعمل على إبادة شعب هارسيماس و ضغطت على رؤساء المجلس بإتخاذ إجراءات ضدنا و مطالبتنا بغرامات لا حد لها ستقضي علينا بلا رجعة."

"هذا ظلم! لقد تم إدراجنا في حرب لم نكن طرف فيها و أرغمنا على خوضها دون أية إستعدادات لها."

عم الصمت للحظات قطعته أترودين قائلة: "نحتاج الدعم! فلنلجأ لزوريتاج.. هي حليفتنا منذ زمن و تساعدنا دوما في نكباتنا."

"زوريتاج؟"

"فكر فيما قلته لك، هذا هو الخيار الوحيد لنا.. قد تنقذنا الآن.. لن نخسر شيء!"

"سأدرس هذا الموضوع و سأقول لكِ ما توصلت إليه."

"هي الأمل الوحيد!"

"أنا أتذكرها، هي بلد كريمة في العطاء، لكن لم يروقني شعبها."

"نريدها أن تقف معنا.. ليس هذا وقت الحكم عليها."

"سنخرج من هذه الأزمة بسلام بمشيئة الرب، و سأحاول أن أتقرب من زوريتاج."

"الشعب فوض لك الأمور، فليكن على علم بها."

"سأعمل على تنويه الشعب.. لكن بطريقة غير مباشرة!"

الفصل السادس عشر:

في هارسيماس، بلدة صغيرة تقع بالقرب من حدود سوانتار الشرقية، ظلت نيران الحرب مشتعلة بالرغم من إختلاف أطرافها؛ فأصبحت الحرب بين هارسيماس و جوريولوت فقط بعد أن تركت سوانتار ساحة المعركة بإنتصارها على جوريولوت و ردعها عن حدودها لأبعد مدى.

إلى جانب المعارك و الإشتباكات، شهدت الحرب أيضا محاولات كثيرة لإغتيال حاكم هارسيماس.. فجأة، إختفى الحاكم عن الأنظار. ظن البعض إنه قد مات أو خطف و البعض الآخر ظنوا إنه هرب أو مختبئ في مكان ما، لكن ما أثار التساؤلات و الدهشة هو عدم تأثر الجيش و تنظيمه و تكتيكه بإختفاء الحاكم؛ ظلوا كما هم مما أدى إلى إنتصارهم أخيرا و تحرير بلدتهم بعد إستماتتهم في القتال.. و بقيت سدة الحكم بلا حاكم و كثرت الأشواك التي خلفتها الدولة العدوة المهزومة وراءها و كثروا الخونة بلمعان العروض.

بعد أيام قليلة، تولى زعيم المعارضة حكم البلدة و كانت حجته و حجة مؤيديه هي فشل الحاكم الهارب و تخليه عن البلد في وقت الخطر و ساعدهم في ذلك عدم ظهوره مرة أخرى مما أطاح بكل مؤيديه و المشككين في صحة هذه الحجج و هذا التفسير.

رضا الشعب بالأمر الواقع؛ فقد إشتهرت المعارضة بالفظاظة و الخشونة ما جعل سكان هذه البلدة الهادئة يقبلون هذا الوضع إلى أن يجِّدَ جديد. فقد إعتبر الكثير منهم ما يحدث حل مؤقت و إعتبروه وعد من الحاكم الحالي: أن يترك الحكم حينما يظهر الحاكم الأصلي للبلدة من جديد..

باشر الجميع حياتهم ما عدا إكسنترا، إبنة الحاكم المختفي. إكسنترا، فتاة لامعة المظهر شعرها أحمر داكن و عيناها بنية اللون، كانت هي الوحيدة التي تعرف مكان والدها بالرغم من ذلك لم تفصح عن شيء. كما كانت إكسنترا هي وحدها نقطة الإتصال بين الجيش و حاكمه فقد كانت تزور والدها متخفية ثم تدخل معسكرات الجنود في سرية و سكوت تعطي لهم الأوامر المحددة بنبرة صارمة و وجه يخلو من أية تعبيرات و لا تسمع لأي منهم؛ فقد كانت تتابع الأحداث عن كثب و على أرض الواقع و رأت أنها لا تحتاج أن تستمع إلى مهاترات أو تشويش أو أعذار.. كانت تقولها و تقرأها كأن هذه الأوامر وصايا والدها و لا يمكن الجدال فيها و لا تعلم هي عنها شيء و تختم كل مرة بـ "هذا واجب التنفيذ بأمر الحاكم و إلا سيعدم من سيخالف الأوامر و هو في أشد لحظات صموده. خيانة الحاكم هي خيانة هارسيماس و لا مجال لها هنا على هذه الأرض و لا حق لها في سلاح."

ثم تخرج و تختفي بلا أثر.

ظلت هكذا حتى صدمت بصعود المعارضة، أعدائها و أعداء والدها؛ فقد كانت لعداوتهم جذور إمتدت لما قبل تولي والد إكسنترا الحكم.. لم تطيق الحياة، و لم تعرف ماذا تفعل لوالدها.. لم يهوِّن عليها سوى شخص واحد كان بمثابة الرفيق لها إسمه توفيلي؛ لم يتركها وحدها، ظل معها، ساندها في محنتها و أعاد لها البسمة. كانت قد عرفته قبل الحرب بشهور قليلة، لكن توطدت علاقتهما أكثر أثناء و بعد الحرب مما جعلها أكثر نشاطا و حماس و أمل و تفاؤل، رد فيها الحياة في وقت الحرب.. الحرب؛ عدوة الحياة!

كان أخوها في هذه الأثناء ضمن جنود الجيش المنوطين بطرد أخر الجنود المعتدين على البلدة و المشاركة في التأمين المكثف للحدود تحسبا لأي هجمات إنتقامية أو أي محاولة جديدة للدخول في حرب أخرى أثناء ضعف البلدة. الآن هو وقت عودته إلى بيته بعد أن قاتل و إنتصر.. كم كانت فرحة إكسنترا برجوعه! كانت سعادة لا توصف، كانت تنوي أن تعرفه على توفيلي.. كانت تفتقده و تنتظره بعّد الدقائق.

في هذا اليوم و قد بقيت عشرون دقيقة على وصول أخاها، خرجت إكسنترا مع توفيلي و ذهبا إلى مكان العبادة المقدس و لم تعود إلا و قد تجاوزت عقارب الساعة الميعاد بعشر دقائق. دخلت إكسنترا البيت و معها توفيلي.

قالت إكسنترا: "كانت هذه أكثر مرة شعرت فيها بالسكينة و عمق الإيمان. دعيت أن يعود أخي سالما إلى بيتنا، مُحيت كل دعواتي من بالي إلا هذه الدعوة؛ لاحظت إني قد رددتها أكثر من عشر مرات متتالية و لا أدري لِمَ.. يمكن لسعادتي العارمة أصبحت أدعي بكامل طاقتي. أظنه عاد، قلت لك إنه سيعود اليوم لكنك كنت منهمكا في الصلوات، أريدك أن تقابله الآن.. لكن بِمَ كنت تدعي؟"

لم يرد توفيلي عليها.. فجأة، لمحت إكسنترا محارب مقتول بخنجر ملقى على الأرض بين غرفة المعيشة و السلم. هرعت إكسنترا إليه، أدارت وجهه لها و لم تر أمامها سوى وجه أخيها لا ينطق أو يتحرك.. بعد لحظات من ذهولها الصامت، أحست بظل يقترب منها، نظرت إلى أصل الظل ببطء؛ نظرت إلى توفيلي..

قالت إكسنترا، بحرقة و إستعجال: "أرأيت ماذا حدث لأخي؟ ساعدني!"

ظل توفيلي واقفا مكانه في صمت.

قالت: "لِمَ لا تتحرك؟"

"إن تحرك هو، سأتحرك أنا لأنقذه!"

"هل جننت؟"

"الجنون هو محاولة إنعاش ما إنقضى."

"إنقضى؟ (قربت من أخيها) إنه يتنفس!"

"توهمين نفسك بأمل.. الأمل فيما تتمنينه! الخنجر مسموم!"

"(ذهلت) كيف عرفت ذلك؟"

"أنا أقوم بالمهام كما يجب!"

"(مصدومة) ماذا تعني؟"

"قتلته!"

"قتلته؟ أنت؟ معترف؟ كيف قتلته؟ إنك تكذب، كيف قتلته و متى؟ لقد كنت معي أنا.."

"أيهمك أن تعرفي؟"

"(صرخت فيه) أجبني!!"

"عاد باكرا قبل موعده بثلاثين دقيقة."

"لِمَ لم تقتلني معه؟"

"ليس خياري! لم يَحِن دورك بعد."

وقفت.. و قد إنتزعت الخنجر خلسة في هدوء و خبأته في حزام فستانها و كأن كلماته هذه أوقظت فيها الحذر التلقائي الغير محسوب.

قالت: "أبهذه الصراحة و الجرأة كنت أم إنك تماديت في الوقاحة لتتخلص مني و لتقتلني ببطء؟ (بغضب) أنت! أنت! قتلت أخي! يالك من وغد، لم تَعُد لديك الحاجة للدماء البشرية التي تسرى في العروق، قتلته؟ قل لي ماذا فعلت لك أو بالأحرى ماذا فعل هو لك؟ أجبني!"

"الإجابة ليست من شأنك!"

"و حياة الناس ليست من شأنك لتنهيها أو لتحطمها!"

"أنتِ خائنة إبنة خائن!"

"لن أحاسبك على تخوينك لي.. لكن على الأقل هل خنتك أنت لترد لي الصاع صاعين؟ يالبجاحتك! تغدر بي و تقتل أخي و تتهمني بالخيانة!

لا أصدق! في لمح البصر، تغيرت الأحوال.. يالك من جبان، تقتل جندي منتصرا أعزل في بيته! هل إستخدمتني أنا لتصل إليه؟ هذه اليد التي قدمت لي الحياة حينما كنت أتوق لها.. هذه اليد مسكت خنجر و طعنت به أعز الناس لي!"

"و ستقتلك أنتِ أيضا إذا لم تصمتي!"

"لن أصمت! فلأذهب مع أعز من لي، فلأذق ما ذاق! الفرق إنه ذاقه من أيدي غريب أما أنا فمِن مَن ظننته حبي و الأقرب لي أذقه و أتجرعه.."

"إصمتي!"

"أنا أنتظر.. أنا شاهدة على جريمتك، سأقول لكل من سأقابله و سأصف بشاعتك و بشاعة جريمتك، أيها الحقير!"

دفع توفيلي بها بقوة للحائط، وقعت.

"هل هكذا كنت أم هكذا صرت؟ أنت وحش كاسر طليق! هل هنت عليك؟"

قرب منها.. و قال، بلا مبالاة: "و من أنتِ لي؟"

"من أنا! كنت أنت شروقي و دماري و سأكون أنا غروبك."

حالما إنتهت كلماتها، قابلته بطعنة بخنجره المسموم..

راقبت إكسنترا توفيلي و هو يتألم و حدقت به و هو يموت، و لازال يتملكها الذهول.. لحظات أتتها تملكها الضعف من صراعها الداخلي بين الخير و الشر و لحظات تملكتها العاطفة و الشفقة و الرحمة بتوفيلي لكن سرعان ما تتجه نظراتها إلى أخيها الصريع و تمتلئ عينيها بالدموع و الحسرة ثم الشراسة و الغضب، فتبعد و تنظر إلى توفيلي و تضحك.

بعد أن تأكدت من موته، خرجت مسرعة تاركة الباب مفتوحا، خرجت ترتعش بالرغم من إنها لم تدرك أي شعور قط في كل هذه اللحظات. كانت الشوارع خالية و الرياح عاتية و الشجر كثيف في عتمة الليل، كانت تسير في صمت، لا تفكر أين تذهب، تسير و تسير و تعبر الطرقات و تدخل شوارعها و تخرج من أخرى بلا أي تمييز منها.. كانت فقط تحاول أن تمتص الصدمة..

الفصل السابع عشر:

أيام مضت و إكسنترا لازالت تطوف الشوارع إلى أن عبرت الصحراء شاردة من شدة الصدمة يغلب عليها ألم الثكل الصخري الذي لا تكفيه أو تعزيه كل الأحاسيس و إن تجمعت، فبإتحادها ستحول الإنسانية إلى جمود؛ قد يعزل صاحبه بلا أمل أو يقهر بلا هوادة.

في وقت شروق الشمس على الصحراء التي تقع على حدود بلدتها، إستمرت إكسنترا في طريقها إلى أن غلبتها الدموع و جاشت بها..

"لِمَ عدت، يا أخي؟ لِمَ عدت؟ إن كنت قد قلتها قبل ذلك، لندمت! و إن كنت قد صرحت بالميعاد، لأذنبت! الآن و ما أنت بعائد و ما عدت أنا منتظرة شيء.. كل ما قصدته هو أن أسعد و ألون الدنيا حولي بلون السعادة، لكن لم ترضى الدنيا أن تسعد، فخسفت بي الأرض.

خنجرك المسموم مسموم بلذة الحياة الزائفة و الخنجر هو حقيقة الحياة المؤلمة؛ ما لم نره قائم و لكننا خشيناه في كل لحظة من عمرنا. أترى حينما يقتل حبك ما تمنيت؟ أهذه أنانية أم غدر؟ و حينما ينقلب عليك في لحظة من أحببت، تكون هذه صدمة أم خيبة أمل؟ لم أعرف السبب، لم يتسنى لي الوقت، لكني إنتقمت لماضيّ، أنتَ يا أخي.. و لحاضري، لي أنا.. و لا أعلم عن المستقبل شيء.

هان علي كل غالي بعد أن عزعلي الرخيص في يوم. ياليتني حطمته و قتلته مائة مرة، لكن الحب يلهي ليحطمك أنت.. لكن ما أدراني إنه كان حب؟ كان وهم.. كان إلهاء.. كانت كذبة.. كانت خدعة.. و ها هو و قد حطمني و قتلك، يا أخي.. كيف يعرف القاسي أن يحب؟ ما هذه القسوة التي ظننت إنها حب؟ خدعني حبه كإنخداعي بإبتسامة الحياة. أفتقدك، يا أخي، من الأرض للسماء، أفتقدك حق الإفتقاد.. سامحني!

ياللعجب من كان يخمد براكين غضبي إذا ثارت بات صهده مشتعل لهيبه! و قتلته لأستريح منه.

(نظرت حولها، ثم نظرت للسماء) تشرق و تغيب الشمس، لم تعد تعنيني، فلا حياة بقيت.. لا حياة!"

رأت إكسنترا في نهاية الصحراء بحيرة تتلألأ مياهها من بعيد، ذهبت إتجاهها تلقائيا.

كانت نهاية الصحراء هي أخر رقعة أرض تنتمي إلى هارسيماس، كانت هذه البحيرة على حدود هارسيماس مع سوانتار و التي تُرِكَت بلا تأمين بعد إنتهاء الحرب حتى يتم توقيع إتفاقية جديدة بشأن تأمين الحدود بينهما لاحقا.

وصلت إكسنترا البحيرة و مالت عليها لتحصل على بعض الماء.. و ما أن شربت البعض القليل منها حتى سمعت بعض الجمل من حديث دار خلفها بين شخصين.

قال المواطن الأول: "لا أعرف كيف سأعود إلى بلدي مرة أخرى!"

حسبتهم إكسنترا يتحدثون عن هارسيماس، حسبتهم معارضي الحاكم الحالي و مؤيدين لوالدها و حزبه.. ما أن سمعت هذا حتى حاولت التركيز فيما يقال! عادت لها حماستها الوطنية و تذكرت قضية حياتها و عائلتها.

ثم إستكمل قائلا: " كيف صارت؟ مرت شهور و أنا متردد في الرجوع، لكني أتابع أخبارها أولا بأول.. لكني لم أعشها حدثا بحدث.. ماذا سيحدث إذا ساءت الأوضاع؟ لمن سنلجأ؟"

قال المواطن الثاني: "لن تسوء.. ملكنا نِرشيس ليس مثل من سبقه."

"لن أنكر إنه يحاول أن يسعدنا بكل الطرق، لكنه لا يعرف كيف ينهض بالبلاد.. كل ما يفعله هو طلاء بيت على وشك السقوط."

"إذا سقطت، و هي لن تسقط أبدا، فلينقذنا الرب، فلازال لدينا أريسبكتو و آرمشيو.. ألا تتذكرهما؟"

"أتذكرهما! لكن لم يعد لهما صيت كما كانا!"

"كيف هذا؟"

"ألم تضحي بهما أترودين لتصبح ملكة؟"

"من قال هذا؟"

"يقولون و يقولون!"

"لا تسمع لكل ما يقولون.. هما أشجع و أقوى و أذكى فرسان سوانتار! لن يتغير هذا أبدا.. عد إلى بلدك! لقد إنتهت الحرب و نحن منتصرون! ألا يكفيك هذا فخرا؟"

"لكن سيطاح بنا عن قريب! ألا تعرف إن هذه الأرض التي نقف عليها عانت من ويلات الحروب بسبب ملكنا هذا؟ ألا تعرف مشكلة الديون؟"

"ديون؟ لا بأس! ستحل! لكل بلد مشاكلها، و هذا يدل على تقدم لنا ملموس، سنسددها قريبا.. لا بأس! لا بأس! قل لي هل وصلتك خطاباتي؟"

"وصلني ثلاث خطابات، هل كانوا أكثر من ثلاث؟"

لم تهتم إكسنترا لباقي الحديث، سرحت لبضع دقائق ثم قالت، لنفسها، بنظرة يملؤها الشر: "أريسبكتو و آرمشيو.. أريسبكتو.. آرمشيو.

سوانتار!! بسببها خسرت كل شيء و شهدت ما لم أتصور حدوثه قط.. هذا الحاكم الخائن الذي يحكم هارسيماس الآن، لطالما كان مدعوم من چاشيندره. و الآن! حكام سوانتار هم من دعموه ليحكم و بهذا يدمروا وطني و يكونوا هم القوى العظمى في المنطقة، لا أستبعد نيتهم في ضم هارسيماس إليهم في يوم ما، ألم يكن هذا هم چاشيندره؟ نِرشيس هذا إستكمال لمسيرة من سبقه يكمل مخططاته، محب للحرب لا للسلام، أناني؛ لم يدعمنا ضد عدونا بل حارب بلا مبادئ و

بلامبالاة.. فجَّر سكون حياتي حتى ما عادت لي حياة بالرغم من أني ذقت من الآلام و الهموم و الصدمات ما يملأ حيوات. حان الوقت لأمرح؛ لم يبق لي ما أخشى خسارته أو أخاف منه .. فلأمرح و مكافأتي هي.. تدمير عرش سوانتار!"

<u>الفصل الثامن عشر:</u>

في بيت أريسبكتو و آرمشيو، في عصر يوم جديد في غرفة المعيشة، وقف آرمشيو و هو بكامل أناقته بينما كان أريسبكتو يقرأ الجريدة.. جلس آرمشيو على أقرب أريكة له، لم يقل شيء.. و ما ان إلتقت عينه بعين أريسبكتو حتى قال، بنبرة بها حزن دفين: "أفتقد أترودين!"

رد أريسبكتو: "لِمَ؟"

"ألم تكن صديقة لك أنت أيضا؟"

"تتغير الحياة، و يتغير الأشخاص، و يتغير وضعهم في حياتنا و تتغير نظرتنا لهم.."

"سأذهب إليها!"

"لِمَ؟"

"لإني أفتقدها!"

"و ماذا بعد ذلك؟ هل ستتنازل عن العرش من أجلك؟ أم ستجعل من حبك دستور للبلاد؟"

"لا أعلم! قد يكون برؤيتها تنطفئ ربع أشواقي لها، قد أجد في تعاطفها معي عزاء لي في حبي لها."

"كيف؟"

"ستطيب خاطري!"

"أنت تحلم، أيها القوي المعذب! لقد تركتنا، لم تسأل عنا، أتريد أن تذهب لها؟ أين كرامتك؟"

"كرامتي محفوظة!"

"فلتفق! قل لأحاسيسك أن تنطفئ! يكفي هذا! ستقلل من شأننا إن ذهبت لها!"

"فعل الخير لا يقلل من شأن أحد!"

"حبك لها الأعمى سيقلل من شأننا!"

"و ما دخلك بحبي لها؟"

"ألسنا فرسان سوانتار؟ نحن وجهان لعملة واحدة! إن صدأ وجه، يصدأ الآخر!"

"لا يصدأ إنسان بالحب!"

"أنت حالم و ستضيعنا!"

"قد تكون في حاجة لنا!"

"ليست في حاجة لأحد!"

"(بحسرة و إشتياق) لكن أترودين..."

فجأة، فتحت الأبواب بعنوة و دخلت إكسنترا قائلة، و هي تلهث: "هل لديكم الماء أم هي حكر على الأغنياء؛ هؤلاء الذين كتبت لهم الحياة؟"

أعطاها آرمشيو كوب من الماء، شربته بالكامل مرة واحدة لشدة عطشها.. ثم سألت: "أين سيدة البيت؟"

رد أريسبكتو: "لا سيدة لهذا البيت!"

"لِمَ؟ ألم تجداها؟"

رد آرمشيو، في حنق: "ما لكِ تتدخلين فيما لا يعنيكِ...."

قاطعه أريسبكتو، قائلا لإكسنترا بلطف: "لا سعادة أو فرحة في بيت يخلو من سيدته!"

قالت إكسنترا: "لا تحدثني عن السعادة أو حتى الفرحة!"

سأل أريسبكتو، بإهتمام: "لِمَ؟"

قالت إكسنترا: "الشيء الجميل هو إحساس و أمل لكننا نعيش القبيح و هو أيضا ما نخشى حدوثه.. الفرحة هي الأمل و لا تكتمل فرحة، فهل للأمل وجود؟ للسعادة بريق، سرعان ما ينطفئ؛ فهي كالبرق يذهب قبل أن تستطيع أن تكتب به بعض السطور.. هي وهم، هل يمكنك الإمساك بالوهم؟ بالضبط كالبرق!"

إنبهر أريسبكتو بإكسنترا، كان هذا واضح في نظراته لها.. أما آرمشيو، فلم يطقها و لم يستطع إخفاء أثر إنطباعه عنها.

سألها أريسبكتو، بإبتسامة: "من أنتِ؟"

"إسمي إكسنترا .. جئت من الحدود التي لطالما سكنتها، ثم سمعت عن عظمة سوانتار و إحتوائها من يلجأ لها.. و لم ينفك الناس، كل من قابلتهم، عن ذكر إسمكما، ألستما أقوى فرسان سوانتار؟ و ها و قد تحققت أمنيتي و قابلتكما.. فهل يمكنني المكوث لديكما حتى أجد لنفسي بيتا؟"

قال أريسبكتو: "طبعا، مرحبا بكِ!"

قال آرمشيو: "لِمَ لا تعودي إلى بيتك؟"

"لا يمكنني هذا! فأنا هاربة.."

قال آرمشيو، بحنق و إنزعاج و كأنه يتلقى المصائب المتوقعة: "هاربة!"

سألها أريسبكتو: "ممن؟ مما؟"

"لا يمكنني البوح بأكثر من هذا، لكنني خرجت من هذا المأزق بحكمة!"

علق أريسبكتو: "أرى إنكِ ذكية و حكيمة، ما هي هذه الحكمة؟"

أجابته إكسنترا: "الحب صدفة أما الزواج فمصلحة.."

علق آرمشيو، بقوة و غضب: "هذا هراء!"

قالت إكسنترا: "هذا ما قلته بالضبط بعد أن توصلت لهذه الحكمة. (سارت للأمام و هي تنظر حولها بتمعن) لكن أشجع و أمهر و أقوى الفرسان و تعيشان في هذا البيت؟ أم أن هذا منفاكما و تتخذونه بيتا لكما؟"

رد أريسبكتو: "لا، إنه بيتنا!"

رد آرمشيو: "إن لم يعجبك، فلتخرجي! لن تطلبي منا السماح لكِ بالمكوث معنا و تشترطين علينا و تعلقي على ما تطلبينه بأسخف العبارات."

سألته إكسنترا، و هي تخفي غيظها منه: "لِمَ أنت هكذا؟ هل إنطفأت الشموع حينما قدمت إلى دنيانا أم سقط نجم هائج متوهج من موقعه في السماء البعيدة على بلدتك هذه؟"

أجابها آرمشيو: "أنا لا أفضل التعامل مع الغرباء سليطي اللسان!"

قالت إكسنترا: "تعاملات! أي تعاملات، عزيزي؟ ما هي إلا سلسلة من الإحراجات، منك مرة و إليك مرات."

لمحت إكسنترا مكتبة، فإتجهت إليها، و وقفت أمامها تتفحص الكتب ثم قالت، بخيبة أمل: "أتقرأون كتب التاريخ؟"

رد أريسبكتو، في هدوء و فضول: "نعم، و ماذا في ذلك؟"

قالت: "إبْقَيَا على جهلكما! هذا أفضل من قراءة كتب التاريخ.. فلكل حدث سبعة زوايا، فقط زاوية الكاتب و منظوره و إدراكه و إستيعابه و حكمته و معلوماته و مصلحته و أهوائه هي التي تقرأها، فالأحداث تأخذ صبغتها.. لا تصدق شيء إلا ما تراه أنت و تسمعه أنت و تتأكد من صحته أنت من عدة مصادر مختلفة. فلتحرقوا هذه المكتبة! (بسخرية) و يقولون أذكى الفرسان!"

رد آرمشيو، بإنفعال:"إنها تهيننا! ألم تتعلمي الذوق؟"

قالت: "الذوق؟ أحسبه فقط تقديرات شخصية؟ أيدرس في المدارس ضمن المناهج الدراسية؟ اعذرني، فقد كبرت و لم أعد قابلة للتعلم!"

قال أريسبكتو: "(بإبتسامة) ستكوني ضيفتنا، لدينا غرفة خالية يمكنك البقاء فيها.. بالمناسبة، إسمي أريسبكتو و هذا آرمشيو! (دلها على الغرفة) تفضلي!"

دخلت إكسنترا الغرفة، قرب أريسبكتو من آرمشيو الذي ظهر على وجهه الإمتعاض و الغضب العارم و الشراسة.

قال أريسبكتو: "كل هذا بسبب أترودين.. أترودين.. جعلتك إنسان لاذع بغيض! أنت لا تعرف كيف تعامل السيدات الراقيات!"

قال آرمشيو: "أية راقيات؟ هل كنت تعرف كيف تعامل أترودين؟ ألم تر كيف أهانتنا هذه السيدة؟ و ماذا فعلت أنت؟ سكت! لولا حمرة الخجل، لكنت طلبت المزيد."

"إذن فأنت ترد لي ما فعلت بالمثل!"

"و من هي لك ليعنيك شأنها؟ أنا لا أرد لك شيء، أنا أعطي كل شخص حقه و ما يستحقه من معاملة!"

خرج آرمشيو من البيت و هو يقذف و يضرب كل ما يقابله.. أما أريسبكتو، فجلس بجوار الطاولة يفكر.

كيف دخلت إكسنترا هكذا بينهما و كأنها عرفتهما و عرفاها منذ سنوات؟ من لقاء واحد ثارت بينهما الخلافات.. ما حدث لها أعطى لها الجرأة، فلا شيء لتخسره. كما إنها إختارت الشخصية التي يمكنها التأقلم مع الفرسان بالرغم من إنها لم تعرف عنهما سوى بضعة صفات إشتهرا بها، لم تدرسهما عن كثب و تحلل شخصيتهما، فبدأت تطور و تصلح من الشخصية المختارة لهما بإستمرار.

الفصل التاسع عشر:

في يوم حار على سوانتار، وقت غروب الشمس، جلست إكسنترا و معها أريسبكتو و آرمشيو في غرفة المعيشة في بيتهما..

قالت إكسنترا: "يقولون إن الملك و الملكة يفكران في محاربة قوزالا."

رد أريسبكتو: "ستكون الحرب فكرتها هي؛ فهي متشائمة تحب التراجيديا!"

قالت إكسنترا: "أتعرفاها؟"

أجابها أريسبكتو: "كانت واحدة منا، كثيرا ما جلست مكانك هنا، كثيرا ما كانت تحادثنا و نحدثها.. كانت تعمل في مزرعة تملكها بالوراثة و الآن ملكت كل المزارع، في أنانيتها حظها."

"أتكذبان؟ أتهينان الملكة لتحطا من قدرها لمستواكما أنتما؟ ماذا فعلت لكما؟"

قال أريسبكتو: "خانتنا.. تركتنا!"

تدخل آرمشيو: "(مدافعا) لم تخوننا! (بصوت منخفض) لكنها تركتني!"

سألت إكسنترا، مستفهمة: ""تركتنا" أم "تركتني"؟"

لم يجبها آرمشيو..

قالت: "لكن.. كيف؟"

رد آرمشيو: "كانت صديقتنا!"

قالت: "إذن.. أنتما من ساعداها فعصفت بكما على بوابة القصر؛ مثل أي فارس نبيل سحقه ملكه ليكن عبد له.. أرى إنكما لم ترضا بالذل ففضلتما الإبتعاد."

قال آرمشيو، محاولا تقبل الحقيقة: "هي أنقذت قائد الثورة، و بايعه الشعب ملكا.. فهذا حق لها!"

قالت، بإستهزاء: "أتقصد مزحة العلم تلك؟"

رد أريسبكتو، بقوة: "ليست بمزحة، بل كان هو المزحة! فجأة ظهر، و فجأة إلتفت الجماهير حوله!"

قالت: "لا تعتب عليهم! فالشعب كان فقير؛ الفقراء يحتاجون الأمل و حينما يرونه في شخص يصنع لهم الحياة، يعظمونه. قليلا ما تجد لغني زعيم؛ فهم في غنى عن هؤلاء الزعماء."

قال أريسبكتو، بإنفعال واضح و قهر داخلي: "الأمل رأوه فينا، حتى أترودين كانت معنا.. فجأة ظهر هو.. فجأة أخذ كل شيء منا.. و ما عدنا كما كنا.. أبدا ما عدنا!"

خرج أريسبكتو ليتنفس بعض الهواء المنعش خارج البيت..

قالت إكسنترا: "إنه يريد أن يأخذ كل شيء لنفسه حتى هذه الملكة التي خانتكما، ما إسمها؟ آه، أترودين! كيف هي؟ أقصد جلالة الملكة! لكنها قبل أن تكون ملكة كانت صديقتكما أترودين، كيف كانت؟"

رد آرمشيو: "ماذا تقصدين؟"

"أراكما تمقتاها و كأنها إمرأة ذات دهاء عظيم.. طعنتكما!"

"لم تطعنّا!"

"إذن هي طيبة!"

"و بم يعنيكِ؟"

"أريد أن أطمئن عليكما!"

"هي ليست مثلك!"

"أنا أعي ذلك بشكل مطلق! أنا لا يليق بي دور أترودين هذه، يصيبني بالعصبية و الإحباط! (لنفسها، بصوت منخفض جدا) أنا هنا لأهز عرشها و أنتزعه منها!"

"ماذا؟"

"أعتقد إنك تراني من الأشرار! و لا عجب إن كنت ترانا بسيئين و أشرار، فمن يفقد و يفتقد أحبابه، لا تكون له أية راحة مع آخر غريب. كم من الصعب نسيان من إعتدت عليه؛ فهو لن يكمل معك مهما فعلت و سيؤرقك إن نجحت في إعادته لك!"

راقبت إكسنترا وقع كلماتها على آرمشيو، ظهر الإمتعاض و القسوة في عينيه و كان على وشك الرد، لم تعطه إكسنترا أي فرصة خوفا من إنه سينهي الحديث بشكل خاطئ بإندفاعه قبل أن تقل ما تريد، فإستكملت كلامها له مسرعة: "لكني أرى بينك و بين أريسبكتو تفاوت في الأفكار و إختلاف في الإتجاهات. إن لم تعتبره رفيق فهو بالأحرى عدو يحطم آمالك و يسخر من إحساسك! أنت إنسان قوي شجاع محب مخلص حساس، لك أهميتك و وضعك، لك إستقلاليتك! أنت غير تابع لأحد و لا عرضة للنقد.. أنت الباقي، فالبقاء للأقوى فليكن لك ما شئت، أنت الحامي و هو بدونك لا يمكنه فعل شيء! لك هيبة تجنيها بالخشوع الذي يملأ عيونهم عندما ينظرون إليك! حتى الملكة سيأتي لها يوم و تعرف من هذا الذي يستحق أن يكون ملكا.. من هذا الذي يحبها.. من هو الجدير بالعرش.. و تحتاجه هي قبل أن يحتاجه الشعب.. ستعرف قيمتك و سيكون الوقت متأخرا.. لكنها ليست مستحقة لشيء!"

إنسحبت إكسنترا في هدوء و دخلت غرفتها و أغلقت الباب.. و وقف آرمشيو حائرا بين كل هذه الأحاسيس التي حقنته بها مرة واحدة.. ثم دخل غرفته ليستريح آملا أن يرتاح، فهل لهذا من سبيل؟

بعد بضعة ساعات، عاد أريسبكتو إلى البيت وجد آرمشيو نائما و إكسنترا متعبة و مرهقة تستعد للنوم.. قالت له إكسنترا قبل أن تدخل غرفتها بصوت منخفض و هدوء مقنع: "أتحتاجه؟ هذا الذي يشاركك بيتك مغفل الحقائق هذا المدلل بالإحساس المضلل؟ أتحتاجه و هو يفسد خططك و يضر بك و بذكائك و نبوغك بغوغائيته و إندفاعه و شروده؟ صراع القوى؛ تتناحر لتسود إحداهما.. أمثالك، أريسبكتو، يحكمون عليه إما بالعبقرية الفذة أو بالحماقة المطلقة! فلتحقق خلودك، و لا خلود لكامل بمُكمِّل له!"

الفصل العشرون:

في صباح اليوم التالي، ذهبت إكسنترا خلسة متنكرة لهارسيماس لتطمئن على الأحوال و تعود مرة أخرى لسوانتار لتكمل مهامها.. و هي في طريقها، غيرت رأيها، لم تعد إكسنترا تريد العودة؛ فقد كانت كل خطوة تأخذها في إتجاه بيتها تثير بداخلها شعور قوي بالظلام و يزيد الشعور قسوة كلما إقتربت أكثر.. لم تكمل إكسنترا السير في هذا الطريق إلا إنها وجدت فضولها يدفعها إلى بيت توفيلي.. و بالفعل ذهبت هناك و وقفت أمامه.. وقفت أمام حطام و ركام، كان هذا ما تبقى من بيته، و لم تعلم السبب، أكان زلزال أم أمر بإزالة أم إستهداف؟

قربت إكسنترا أكثر من حطام البيت و قالت: "أترى حظك؟ أنا متأكدة إنك نجوت، فأنت لست هنا، لم تكن هنا، أنا أعرف ذلك.. أنقذتك أنا."

نظرت بتمعن لبقايا البيت، لم يلفت نظرها إلا.. كتاب ملقى بين الركام و يغطيه التراب، إلتقتته و مسحته، و إذ هو بكتاب يومياته بين يديها أي "كتاب مذكرات توفيلي".

أمسكت بالغلاف، أحست إنه غير مستوي، ففتحته، وجدت ورقة مكتوب عليها "سلسلة الإنتهاءات" وجدت قائمة طويلة من الأسماء تتضمن إسم أخيها، ثم إسمها مشطوبا عليه، ثم إسم والدها.

"والدي؟ سيقتلونه! كان هذا هدفهم من البداية، (بسخرية) و لم يجدوا غيرك أنت لقتله؟ و من هذا الرؤوف الذي جعلك تشطب إسمي؟"

أغلقت الغلاف مرة أخرى و قرأت الإسم: "توفيلي جويرسال شولراي"

"شولراي؟ هل.. هل كان إبن الحاكم.. شولراي؟ إبن أخو الحاكم؟ و تنعتني أنا بإبنة الخائن؟ هذا يفسر الكثير!"

فتحت أول صفحة منها و قرأت: "أقر أن كل حرف خطته هو لي يعكس شيء ما لم أتبينه.. فإن كنت قد تبينته ما كنت كتبته، لذلك لم أتوقف عن الكتابة؛ كتابة سلسلة كتب موضوعها "حياتي"."

علقت: "و إنتهت!! فلتكتب إسمي في نهايتها، ألم تصف جرائمك فيها؟ أم هذا ما تبينته و لم تحتاج أن تكتبه؟"

قلبت الصفحات بعشوائية إلى أن إستوقفتها عبارة قرأتها: "إكسنترا! إكسنترا.. إني أكرهها!" ضحكت بحسرة و سخرية معلقة: "كن مختلفا عن الآخرين؛ لطالما حسبتك غيرهم، قل إنك تحبني!"

قلبت صفحة وراء صفحة، تبحث عن إسمها إذا كان قد ذكر مرة أخرى إلى أن رأته مجددا و قرأت: "إكسنترا! لقد كذبت بشأنها، للصدمة، لصدمتي أنا، أعشقها و أخجل من عشقها فلن يجدي نفعا سوى تدميري و سحقي و سيظل إحساس يؤنبني و يعذبني و أنا في سجون هارسيماس محروما منها و من غفرانها لي، سيظل إحساس بلا صدى، ستكرهني بقدرعشقي لها، لكن كيف لها أن تكرهني؟ أنا متأكد من حبها لي، أيمكن للمحب أن يكره؟ أستسامحني يوما؟"

إلى هنا إكتفت إكسنترا و لم تكمل قراءة المذكرات، فقد فاضت عيناها بالدموع.

"كنت حب عابر لم أتفهمه شرع يتغلغل في حياتي و يسيطر على إحساسي دون أن أدري حتى تمكنت جذوره مني.. و فجأة، أصبحت عدوي اللدود و هي المفاجأة التي خصني بها القدر لأعرفها متأخرا و أعرف وقتها دون قصد مني إنك صرت حبي.. حب حياتي الوحيد، أيعقل هذا؟ صرت حبي الوحيد و أنت عدوي اللدود، يالها من معجزات! كم تفاجئنا التناقضات القدرية و تصارعنا و تصارع نفسها داخلنا. كم أشتاق إليك! كنا سنفترق، لا محالة من الفراق.. و هكذا يكون الفراق؛ كان فراقنا.. كان في صالحك أنت، كان صافي دون حقد أو غل، هكذا يكون أخلص و أنقى أنواع الفراق و الإشتياق. كم هنت عليك و تتسآل عن حبي؟ أيهمك حزني؟

ما غصتي إلا من فراقك! ما غلي إلا من حرارة شوقي إليك! ما حقدي إلا توقي للذكريات! الأيام، تمر و تمر، مر منها ثلاثون.. آه، مال تلك الأيام تبعد بنا المسافات، تبعدها بين حنين آت و خير البعاد، و لا وسيلة تعيدني إليك، فالزمن لا يعطينا هذا الخيار. و تمضي الأيام و تزيد المسافات و أخشى البعاد أكثر من ذلك، أخشى المزيد من البعاد و أنت تقبع في ذاكرتي و مخيلتي مثل لوحة قديمة لم تجف ألوانها و هي تضج حياة. ماذا فعلت بي؟ محيتك من الوجود و لم تمح من وجودي أنا، خصني الوجود أن أحيا بوجود ما ليس بموجود.. لعنة من هذه؟ القاتل المظلوم أم القاتل الخائن المتوحش؟ لعنة ماذا؟ أي لوحة؟ هي لعنة إكسنترا؛ لعنة تلطخ البراءة بعتمة الجريمة، هو وهم واقعي لن أقوى على نسيانه.

ليس لي الآن سوى تدمير من وضع القنبلة و تركها تنفجر و تبتلع نارها ما تشاء و تهدم ما تشاء و توقظ الذئاب و تستغل النعاج.. ليس لي سوى حماية والدي، قد يكون في هذا تار آخر لي، و لي في التار حياة."

الفصل الحادي و العشرون:

وقفت إكسنترا أمام النافذة و هي تنظر بتمعن على هذا الرجل، وينرال، الذي يبدو كالفارس و يقترب من البيت الذي تنزل فيه حاليا و تمكث فيه هذا الصباح بمفردها قائلة: "ماذا يناسبه؟ أي شخصية؟ (تفكر) فارس.. شجاع.. مفرود القامة.. قوي.. متخذ قراره، لكن.. خجول نسبيا، و يهيئ لي إنه قليل الكلام.. ما الشخصية التي تلائمه؟ أظنها تلك! فلنجرب تلك!"

طرق وينرال الباب، فتحت له إكسنترا..

قال: "أليس هذا بيت أريسبكتو و آرمشيو؟ أعتذر إن أخطأت و أزعجتك، سيدتي!"

ردت: "لا، لا، لم تزعجني، و لم تخطئ، تفضل!"

دخل وينرال البيت و تركت إكسنترا الباب مفتوح.

قالت: "أنا ضيفة، مثلي مثلك! لكني من معارفهم فمكوثي هنا أطول منك، تعرف الأقرباء الكرماء و كيف يتمسكون بضيوفهم. بالرغم من إن بعض الأصدقاء نصحوني بألا أقيم لديهما؛ فقد لاحظوا سوء أوضاع البيت، لكني لا أحب أن أجرح أحدا، و لِمَ؟ و علام؟ و بم؟"

قال، و هو ينظر لها سريعا محاولا عدم الدخول في جدال: "هذا رائع!"

"رائع؟ (مفكرة) بل قل مذهل، أرى هذه الكلمة أفضل! كنت أجلس هنا، مكانك هنا، وحدي بلا ونيس أو أنيس أو جليس أو رفيق، فلتنتظرهما معي! كنت أجلس هنا أسمع خطوات غير قادمة نحوي و أسمع كلمات غير موجهة لي أو عني و أرى أشياء حولي لا تنتمي لي و لا هي ملكي.. إلى أن أتيت أنت و وقفت على الباب و حققت أول أمنيتين لي من أمنياتي هذه، أنا لا أريد الثالثة، ترى إن كل الأشياء هنا ليست بصالحة لإقتنائي أنا لها.. ألا تعرف ذلك؟ لابد و إنك فاعل خير، تفعل الخير دون أن تقصد، أم كنت تقصد؟ أرأيتني حين كنت حزينة و تدمع عيناي؟ أم رأيتني و أنا أضحك؟ هل أتيت لتسأل عني أم لتضحك معي؟"

"سيدتي، لديك الكثير من الإفتراضات التي لا أعرف عنها شيئا و لا أظن إن هناك من يعرفها أكثر منك.. و أرى إنك تملكين القدرة على إنتزاع سؤال و إختلاق الإجابة دون الحاجة لمن يوجه له السؤال! جئت لأريسبكتو و آرمشيو!"

"(مفكرة) إذن لدي قدرات لا تحلم أنت بإمتلاكها! أم تقصد إني موهومة و أكلم نفسي و أدمجك في حلمي؟ إذن لِمَ أتيت لي؟ (متأثرة، بعتاب) يالقسوتك، قضيت الساعات أحارب أرعب الأفكار التي لا تقوى أنت على تصورها، لكني صورتها.. (تبكي) كنت أحارب مثلك أنت، أيها الجندي!"

"لست بجندي!"

"غريبة! إن لم تكن جندي جندي و بهيئتك أنت جندي، فمن تكون؟"

"أنا وسيط!"

وقفت بحزم: "لن يباع هذا البيت!"

"هل أنتِ أجنبية؟"

"(بحرقة) ليس لأني قضيت سنوات قد يَصِفوها بالعديدة مع إنها بِضعة سنوات فقط في الغربة الموحشة تشكك في وطنيتي و إنتمائي لسوانتار، أيها الجندي و ما أنت بجندي!"

"فهمت، أعتذر!"

"لا بأس! (صمت للحظات) ما هذا؟ ماذا لو لم تفهم؟ ما كنت إعتذرت؟"

"كل من في سوانتار يعرفنا، نحن حلقة الوصل بين الملك و الشعب و نرسل الوسطاء للملك."

"و ماذا تريد؟"

"أريد أن أتحدث مع أريسبكتو و آرمشيو!"

"و لا تريد أن تتحدث مع أجنبية! و قد ظننت إنني وجدت من أشكي له همي و غمي.. فلتتفضل و تنتظرهما في الخارج.. أتعرف؟ سأتركك أنت هنا و سأذهب أنا أبكي على خيباتي بالخارج، أيهمك أن تعرف أي خيبة سأبكي اليوم؟ فعلا، لا يهمك شيء! ذكرتني بأفظع أيام حياتي!"

أدارت وجهها نحو الباب لتخرج و هي تنتظر رد الفعل..

وقف و قال: "إنتظري، أرجوك! أعتذر مرة أخرى، لم أقصد جرحك، أراه سؤال روتيني لا إهانة ورائه و إلا لما سألته، أرجو أن تتفهمي نيتي و تصفحي عني!"

"لا مشكلة!"

جلست على الأريكة و معها قطعتين قماش، واحدة حمراء، و الأخرى صفراء.

قالت: "قل لي أي اللونين يليق علي أكثر! أظن البنفسج!"

رد بخجل و تردد: "الأحمر!"

"أظن الأحمر أنا أيضا.. بالرغم من إنه ليس بلوني المفضل، لكن قد يكون أكثر مناسبة للإضاءة التي يعكسها وجهي..(صمت للحظات) أعتذر إن كنت نعتتك بالجندي، أرى إنك غضبت كثيرا لذلك!"

"أبدا، يشرفني أن أكون جندي!"

"(مهاجمة بعتاب) و لِمَ لا تكون جندي إذن؟ على الأقل، نفهم و نقدر واجبات الجندي! لا يكفي الشرف، إذهب و كن ما يشرفك، عجبت منكم!"

عم الصمت مرة أخرى..

تنهدت إكسنترا ثم قالت: "أتعرف؟ لدي فرصتين عمل، أيهما أقبل؟ الشركة أم المدرسة؟ الإثنان سواء عندي!"

"الشركة!"

"فلتكن، سأكلمهم اليوم! يااه، لدي الكثير و الكثير لأقوله، لكني أنسى و أنسى.. لكن كيف أوقع؟ بالرقعة أم بالنسخ؟"

وقف وينرال و قال: "أعتذر عن إستكمال الحديث فلدي فقط عشرين دقيقة و لا يمكنني الإنتظار أكثر من ذلك! فلننهي حديثنا سريعا!"

"هل مللت مني؟ أعتذر! لكن كيف تقول لسيدة مثلي إنك مشغول و لديك دقائق؟ ألا تعرف الإتيكيت؟ ما هذه الوضاعة و الوقاحة التي تعاملني بها؟ و كأنني أتمنى حديثك! إذن، لا تنتظر! اخرج و إتركني!"

"أرى إنني قد كثرت أخطائي، سأنصرف على أي حال!"

أدارت إكسنترا وجهها و قالت في غضب و تجاهل: "إنصرف!"

"لكن.. أيمكنك ان توصلي لهما رسالة؟"

نظرت له إكسنترا بإبتسامة بريئة قائلة: "أستأتمن أجنبية؟"

"لا داعي لقول هذا، أهلا بك في بلدك!"

"ماذا تريد؟ فتحت لك صفحة كما تريد.."

"نحتاج توقيع أترودين لنكن مدعومين بالملكة في مطالبنا للملك و نحتاج دعمهما لنصل إلى الملكة.. وجدنا إنها أفضل طريقة لضمان أفضل النتائج. أرجوكِ، حافظي على سرية هذه الرسالة.. لم أشأ أن أتعبك، لكن لا خيار لي."

"(مبتسمة بفرحة) لا أحد هنا غيري! لكن.. كيف ستتلقى الرد؟ أين تسكن؟ إئتمنتني على رسالتك، ألن تأتمنني على عنوانك؟ على الأقل أنا أجنبية كما تقول، لا أعرف الشوارع جيدا.. لكنك تعرف البريد و متطلباته و إلا لما كنت سألت."

كتب وينرال العنوان في ورقة و أعطاها لها..

"أيمكنك أيضا أن تكتب لي ملخص الرسالة في ورقة أخرى؟ أخشى أن أنساها، أحتاج أن أقرأها كثيرا لأذكرها.. و تكون لي ذكرى!"

تردد وينرال للحظات، ثم أخرج ورقة أخرى من جيبه و كتب ما طلبته و أعطاها له.

قال: "مع السلامة!"

"صاحبتك السلامة!"

خرج وينرال و ظهر عليه الغيظ قائلا، لنفسه: "أين سيدات سوانتار؟ أفتقدهم! هم أهون علي من.. أشعر بقيمتهم الآن! أود و لو أعتذر لهم على نقدي لهم! كان هذا كثير علي!"

رأته إكسنترا و هو خارج من البيت مسرعا مشتتا.. ضحكت و ضحكت أكثر!

بعد دقائق، دخل أريسبكتو البيت..

سأل أريسبكتو: "رأيت سيارة وينرال، هل كان هنا؟"

"وينرال؟ لا أعرف وينرال! أتاكما ضيف، إنتظركما، ثم رحل! ضيف شجاع لكن ممل، لا يعجبني أنا، لكنه حتما يعجب كل السيدات.."

"(غاضبا) حقا؟ أنا لا أجده بهذه الـ ... (بسخرية) جاذبية.. (جديا) ماذا كان يريد؟"

"يريد منافستك و الفوز عليك بإستغلالك دون أن تدري!"

"هل ترك لي شيء؟"

"ترك رسالة!"

"أين هي؟"

"جاء يطلب معاونتك له.. يفكر أن يحمي البلاد و يقود الثورة هذه المرة و تظل أنت كما كنت سلِّم.. نكرة.. منسي.. لا دور لك و لا منزلة.. أنا لا أرضى لك هذا! فلتفعلها أنت هذه المرة! كل ركن بات يشكي الملك، إنهم مستعدون.. يجب أن يتم هذا دون نقطة دم، و أنت وحدك من يستحق المُلك! نِرشيس هذا ليس بأفضل منك، إثبت له إنك الأفضل، إثبت له إنه لازال هناك في سوانتار زعماء عباقرة أشداء، و إن الشعب تسرع حين لجأ إليه و ستصحح أنت الخطأ الذي إرتكبه في حق سوانتار.."

رد أريسبكتو، متسائلا: "كيف؟ مستحيل.."

"إترك الأمر لي و نفذ ما أقوله لك! نحتاج توقيعها، هل يمكنك الحصول عليه؟ أيمكنك البحث في أوراقها القديمة؟"

لمعت عيناه و قال: "ماذا تنوين؟"

"محاربة أترودين! أليس الهدف واحد؟ غدرت بكما و فازت هي بكل شيء بمجهوداتكما و تبرأت منكما، فلنحاسبها بعدد مرات الشكر التي بخلت عليكما بها و هي لديها اللؤلؤ و الألماس."

"طالما ستكونين معي، فلنحمي سوانتار منها! ما أن جلست على العرش حتى تغيرت علينا و على شعبها.. لابد من الصحوة! أنتِ رائعة! كل يوم أنبهر أكثر بقدراتك و أفكارك.. لديكِ كل الإجابات و ما أصدق من تلك التفسيرات و التنبؤات.. أين كنتِ قبل الآن؟ كنت سأكون أنا الملك و أنتِ الملكة، كانت ستكتب لنا سعادة الدنيا.. إكسنترا، أنتِ وحدك أجمل ما رأيت! و سنفوز في معركتنا، سأفعل ما بوسعي، و سأنفذ كل ما تأمورين به، سيدتي، حرفا حرفا. لكِ كلمتي و ما بعد كلمتي لن يعد لي عهدا!"

سمعهما آرمشيو و هو واقف على باب البيت، سمع بعض الكلمات و العبارات، لكنه لم يدخل. ظل واقفا مكانه يجمع و يركب ما سمع من كلمات. ثم ذهب ليجلس وحده في إحدى الأماكن الهادئة في الطبيعة وكتب بعض السطور على ورقة بيضاء..

إتجه أريسبكتو إلى بيت أترودين القديم مدعيا طلبها لبعض مقتنياتها و هو صديقها و الذي أوكلت له هذه المهمة.. وجد بعض أوراقها الخاصة محفوظة في أدراجها، وجد توقيعها، أخذ بعض الورق معه و فتح خزانة ملابسها و أخذ فستان واحد منهم يشبه إلى حد كبير فساتينها التي ترتديها حاليا و هي ملكة، ثم خرج مسرعا دون الرد على أي تساؤل من لاجدولين و والدتها... مثل: "هل وجدت ما كنت تبحث عنه؟" "هل أترودين بخير؟"..

عاد أريسبكتو إلى البيت و حاول أن يقلد توقيع أترودين على ورقة لم يكتب عليها شيء، ثم قرأ أخر تعليمات إكسنترا و طبقها: كتب بنود إتفاقية و جهز بعض الصور الفوتوغرافية.

الفصل الثاني و العشرون:

ذهبت إكسنترا باكرا إلى قسم الشرطة و إتهمت الوسطاء بالخيانة و بالتخطيط للإنقلاب على الحكم بدليل الورقة التي معها و عليها ختمهم السري و الرسالة: "توقيع الملكة للمطالب التي ستقدم للملك بدعم الملكة.". فلا ينبغي أن تصل مثل هذه الأوراق المختومة ليد أي شخص خارج البلاط الملكي كما إن الرسالة تثير الإتهامات و الشكوك و التساؤلات: "أي مطالب هذه؟ و ما دخل الملكة؟ هل تحرض ضد الحاكم؟" كما إتهمت إكسنترا الوسطاء بأنهم يعملون على زعزعة أمن و إستقرار سوانتار..

ثم إتجهت إكسنترا نحو القصر و دخلت بختم الورقة الأخرى التي معها من وينرال.

في ساحة القصر، وقفت إكسنترا أمام نِرشيس الجالس على العرش..

قالت إكسنترا: "ألا تتذكرني، أيها الملك الوحيد الأوحد؟ لم نر ملك غيرك و لا قبلك! و لن نجد مثلك! الملك العظيم الأعظم البطل المغوار الرائع الباسل الجسور الذي غيّر تاريخ بلدنا و أنقذها و نقلها من الظلمات إلى النور.."

سمع لها نِرشيس و على وجهه إبتسامة لم يستطع إخفائها.

كانت أترودين مارة بجوار قاعة العرش.. سمعت جزء من الحوار.

قالت إكسنترا: "كنت محط أنظار الجميع هذا اليوم.. و لم ترني أنت مثلما رأيتك أنا.."

قاطعها نِرشيس، مستفهما: "المعذرة؟"

"أنا أعذرك، أيها الملك! (بحماس) فلقد جذبتك بعيدا عن الجنود و ما أن وقفنا بعيدا حتى أتت هذه الملكة المزيفة لتظهر بدور المنقذة لتفوز بك ثم فازت هي بالعرش.. إنتزعت مني كل ما كان يجب أن يكون لي. ضربتني و دفعتني بعيدا."

"كان هذا يوم عصيب، كانت حرب أشبه بالحرب الأهلية، و كانت هي سريعة الحركة و دقيقة التهديف. حمدا للرب، أنتِ بخير.. لكني لم أركِ.. هذه أول مرة لي أقابلك فيها.. قد يكون هذا الذي تتحدثين عنه شبيه لي، من يدري؟"

"أرى إنك لا تتذكرني فأنا بالنسبة لما حدث ذاك اليوم و ما حدث لك بعدها، لم أكن ذات أهمية، لكني أتذكرك؛ أتذكر كيف كنت تدافع عنا و تطالب بحقوقنا، أتذكر كيف قدت شعب بلدة مظلومة بلا مصلحة لك.. أتذكر كيف ناضلت.. و هي أجمل ذكرى و ما هون علي!"

"هذه مجاملة كبيرة يستحقها من قام بها!"

"كنت أنت.. أنت! و نسيت وعدك، وعدتني أن أكون معك حتى نهاية العمر، لكنك نسيتني، ألا يمكنك أن تتذكر وعدك لي؟ كان هذا أشبه بالعهد، لم يكن لدي شك.. لكن خسرتك و خسرت حدسي الذي خانني بعهدك أنت."

"صدقيني من وعدك ليس أنا.. لم تخسري شيء! قد يكون هذا الشخص صار سلطانا الآن، فلتكملا معا ما تبقى من العمر."

"أتكذبني، أيها الملك؟ أنا لم أكذبك قط؛ جئت لأُذكِّرك بعهدك، هذا كل ما فعلت! فقط تذكر من كان معك، من حماك و دعمك.. من خاف عليك و ضحى من أجلك.. تذكر و لا تخيب ظني فيك! لدي الكثير من الشهود، إن شئت!"

"إذا كنتِ تريدي العرش، فالعرش ملك ملكته.. إن كنتِ لازلت مصرة إن هذا الشخص كان أنا، فلن أخيب ظن سيدة أبدا، سأذهب أنا بلا منصب أو لقب معكِ.. هل هذا الحل يرضيكِ؟ لا أجد غيره!"

إكتفت أترودين بهذا القدر و لم تستطع سماع المزيد..

ردت إكسنترا: "لا أريد حلا.. أريد كشف الحقائق لكَ و للشعب! هذه الملكة ليست بملكة، لا تستحق هذا اللقب.. أنا من فعل كل شيء لأجل سوانتار، أبهذا يرد لي الجميل؟"

"يكفي إني إخترتها أن تكون الملكة، لا حاجة لها أن تكون قد فعلت شيئا."

"هذا لن يرضي الشعب! (بغضب و إلحاح) إعلنه للشعب، عرف الشعب حقيقة الملكة!"

"حقيقتها يعرفها الشعب قبل مني و حقيقتها أسمى من أن يُجادَل فيها.. فليقل لكِ شهودك حقيقة هذا اليوم! يخيل لي إنكِ كنتِ بلا وعي.. يا حراس!"

دخل الحراس..

"وصلوا هذه السيدة إلى بوابة القصر!"

نظرت له إكسنترا شزرا، نظرت نظرة مطولة، ثم أدارت وجهها بقوة و عزة و خرجت هي وحدها بغطرسة من أبواب القصر.

ما أن أُغلِقَت وراءها أبواب القصر حتى أخذت إكسنترا تبكي بحرقة و وهن، تجمع حولها الناس متسائلين عن السبب قالت لهم: "ذهبت إلى الشرطة و معي الكثير من الأدلة و الأنباء التي تدين الخونة، أعداء الوطن.. وجدوا الأمر مهما جدا و خطير جدا، فأرسلوني للملك! و قلت له الحقيقة، قلت له إن هذه التي تجلس على العرش لا تستحقه لم تكن هي من أنقذه.. لم يصدقني و طردني، و لِمَ كل هذا؟ لإني لم أرضى أن أسكت عن الحق، لم أرضى بظلمكم.. و كان هذا مصيري، أُهان و أطرد من القصر! لقد كنت هنا في هذا اليوم المشهود و رأيت كل شيء؛ رأيت كيف ضللته و الآن أرى كيف ضللني أنا للوصول إلى العرش، إنه أناني، يريد أن يستغلكم..."

ظهر أريسبكتو و قال للشعب: "لا تستعجب أيها الشعب! فما تقوله هذه السيدة صحيح و ما كذبت.. (مسك ورقة و أعلنها لهم) أترون هذه؟ توقيع الملكة على إتفاقية تعصف ببلدنا... ألا يمكنكم القراءة؟ ستباع كل المباني الربحية إلى الأجانب، بوساطة من؟ الملكة! تخوننا و تغدر بنا.. و تبيع بلدنا، أترضون بهذا؟ أنا لن أرضى، سنقوم بثورة! ثورة ضدها و ضد من غيّرها و جعلها عميلة عدوة لنا! أمازلتم لا تصدقون؟ معي الصور! (أظهر أريسبكتو بعض الصور التي بها

طرف فستان أترودين بجوار حقيبة كبيرة بعدة زوايا) ها هي الملكة، و قد وقعت على الإتفاقية و أخذت الثمن!!"

لاحظت إكسنترا نفور البعض من أريسبكتو بعد ظهور هذه الصور و تعاطفهم مع الملكة، فإستكملت قائلة: "وجدنا هذه الوثائق و الصور عند الوسطاء، الخونة، فلنقدم جميعنا بلاغاتنا للشرطة، فليقبض عليهم و نحمي سوانتار من شرورهم. عنوانهم معي، فلنهجم عليهم نحن و نأتي بهم لقسم الشرطة، لن يهربوا، لن يفلتوا من العقاب! هم متآمرين مع الملك و الملكة في خيانتهما لأرضنا، فلتكن هذه نهايتهم.. شعب سوانتار العادل سيحاكمهم كما يستحقون."

كان هذا الكلام و هذا التصرف وصمة عار في تاريخ أريسبكتو المشرف، لم يتلقى الناس هذه الأنباء بالتصديق و الغضب و كره أترودين.. لكنهم كرهوا أريسبكتو لما فعل..

قال المواطن الأول: "لازال يطمع في الحكم! هذا هو الواضح! يَغير من الملكة لأنها كانت صديقة له!"

علق المواطن الثاني: "كيف لصديق أن يفعل هذا؟ ألم يخجل مما فعل؟ يطعن صديقته و يغدر بها و يثير ضدها الناس و يتحدث عنها بأقبح الأفعال و الصفات؟"

رد المواطن الثالث: "لم يعد كما كان! فليبق هنا صامتا أو ليخرج من بلدنا! لم أصدق إنه أصبح بهذا السوء! لقد جن!"

المواطن الأول: "و من هذه السيدة التي معه؟ أتعاونه أم تحركه؟"

المواطن الثاني: "أنا لم أرها من قبل! يجب أن نَحذرهما.. أين آرمشيو؟ لابد و إنه رفض المشاركة في هذا الفعل المشين!"

المواطن الثالث: "أكثرهم خلقا آرمشيو! أكثرهم ودا آرمشيو! أين هذا الرجل؟ نحتاجه ليحمينا من صديقه الذي تقطعت به السبل وحوله الطمع إلى ثعلب!"

المواطن الأول: "لن أثق فيه بعد اليوم!"

المواطن الثاني: "و لا أنا!"

المواطن الثالث: "و لا أنا!"

و هكذا كان رد الناس على حيلة إكسنترا و أريسبكتو. لم تنجح... إلى حد ما!

بعد أن إكتمل مشهد إكسنترا و أريسبكتو و إنصرفا من ميدان القصر، دخل آرمشيو القصر، لم يلتفت إلى أي شيء حوله.. بالرغم من قوته و بأسه الواضح عليه إلا إنه كان متوتر بداخله شكوك و بداخله إحساس لم يتمكن من إخفائه و الآن سيكلم الملكة، الملكة التي يعرفها و تعرفه لكن وقفت المعرفة لفترة و تركت فجوة صب فيها كل خوفه من هذه اللحظة التي تاق لها و طال إنتظارها.. قابلته أترودين مبتسمة رغم ألمها؛ فقد سمعت ما صدمها و هي الآن تحاول أن تنسى مؤقتا حتى لا تعكر صفو لحظة مقابلتها لصديقها الوفي المهتم بعد مرور الكثير من الوقت.

"آرمشيو!! كم أنا سعيدة برؤيتك! كيف حالك؟"

"حكمتِ فأسرتِ القلوب و تاه القلب المتيم بكِ حد الجنون، ضاع وسط الذكريات و خبايا التنبؤات. فاته أجمل حلم؛ بقسوة الجلاد انتُزِعَ منه، و لازال يصبر ليعاتب و هو لا يقوى على العتاب.. شهورا مضت، مضت كعصور مجحفة لا أمل فيها من حياة."

"ماذا تعني؟ أنتَ صديق لي و ستظل كذلك، و لن يصيبكما أي مكروه! لن أسمح بذلك!"

"تركتينا خلفك معلقين في نفق مظلم؛ كالظلام و قتمته لا نهاية له و لا أمل في خلاص. تركتينا نتدارك أخبارك بلهفة يطفئها جحودك و جفائك. تركتينا و تبخرت الأحبار التي سئمت الإنتظار."

"لم أترككما! لم أظلمكما! أنا لست بجاحدة! ما هذا الذي تقوله؟ كان همنا حماية سوانتار و أتت لي الفرصة و لم تترك لي أي خيار، كان هذا نداء الوطن لي! ماذا كان يجب علي أن أفعل؟ أنسحب و بلدي تحتاجني؟ لازلتما أمهر الفرسان و لازلت أنا أترودين، ماذا تريدني أن أفعل؟ ماذا تريد مني؟ تريد أن تنتقم مني لجرم لم أرتكبه؟ لرؤيتكما لموقفي بمنظور الماضي بما لا ينصفني اليوم؟ تريدا الإنتقام؟ إنتقم مني! هيا!"

"فلتخر قوتي و أكون أنا صريعها إن مستك!"

أدارت أترودين وجهها في حزن و حسرة..

إستكمل آرمشيو كلامه: "خبأت حبك من نفسي في نفسي، كل من يعرفني يرى حبك في عيني.. أنتِ من يحكم الآن و لطالما حكمتِ! لطالما عشت على أمل و الآن لم يعد لدي أمل، لا أمل لي في هذه الحياة الباردة الصماء، (نظر في عينيها) هل من أمل في حبك؟"

"(بشجن) أنتما من نساني و تخلى عني، (بإبتسامة مشرقة يتخللها الحزن) لكن بزيارتك اليوم محيت كل عتاب لكما مني.."

"مزقت وحدتنا من بعدك، هل عرفتِ الآن من يحبك؟"

حاولت أن تتجنب الإجابة على سؤاله فقالت و هي تسير للأمام: "لن يروق الملك كلامك.."

"لا يهمني الملك، لا يهمني من صنعتِ! يهمني أنتِ، أنتِ فقط و ما لي و لا يعنيني غيرك! إنتبهي لما يحدث حولك.. هناك أفعى تسعى للخلاص منكِ و إنتزاع عرشك، هي تستخدم ما كان لكِ و ما كان بحوزتك، (أدار وجهه لها ليواجهها) هي تدبر بشق حقول الماضي و نسج خيوط الحاضر على هواها و تصبغ به المستقبل، إحذري! فهي تحوم حول القصر تنتظر الفرصة... (بدت أترودين متجهمة متوترة) أرى الآن إنها قد لدغتك بسمها (أدارت أترودين وجهها تفكر و هي في حيرة من الأمر)، (بجدية) لا تدعيه يتمكن منك، إحصريه في مكانه و إحكمي القبضة و لا تأمني لإنسان حتى أنا أو من شابهني، فلا أعرف أي سم أنا بمتلقيه! ياليتني أتيتك باكرا.. ياليتني ما قبلت!"

إستدارت أترودين له و قالت في عجب مستفهمة: "قبلت؟"

"قبلت نماء السام و مده بالشوك دون أن أدري!"

قربت أترودين من آرمشيو أكثر و قالت: "عم تتحدث؟"

"عن خطر محدق.. أشعر به و أنا مثلك لا أعرف عم بالضبط أتحدث. للأسف وقتي هنا إنتهى و لم أريده يوما مثل هذا اليوم و لم أريده أن ينتهي قط. تعرفين أين تجديني، إن إحتجت لي! أراك على خير، أترودين! أراك على خير!"

إنصرف آرمشيو حزينا بخطوات ثقيلة..

دخلت أترودين غرفتها في القصر و هي باكية حزينة، رآها نِرشيس، الذي كان يتنزه في الحديقة، من الأبواب الزجاجية التي تحيط بالقصر إتجاه الحديقة. دخل نِرشيس القصر و قال لها: "ماذا حدث؟ هل أغضبك هذا الضيف؟"

أجابته، في غضب و حسرة: "بل أغضبني الملك و ضيفته.. ألا تتذكر ما قيل في حقي؟ ألم يغضبك؟"

سكت نِرشيس لبرهة مفكرا فيما قد يضع الحد لأي غضب أو شكوى ثم قال، بنبرة صادقة بها إحساس: "كنا في الظلام و رأيت وجهك و كأنه شمس تأذن لنور الصباح أن يضيء هذا الكون كله. أعرف من أنقذني من الجنود تلك الليلة؛ لا يمكنني الخطأ فقد أحببتك من النظرة الأولى، (ناظرا في عينيها) قولي لي: أيمكن للروح أن تخطيء التمييز؛ تمييز من أحبت بصدق من بين جميع البشر و إن تشابهوا و كانوا نسخة طبق الأصل من بعضهم البعض؟

أنا لم أسدد دينك بعد.. فلولاك لِمَ بقيت أنا و لولاك لِمَ صار لي مُلك."

"و أنا لا أريد مُلكك هذا، لن أقارن بمحتالة لها أهواء و مطامع، أتصدق هذا؟ إني غششتك؟"

"أنا لا أصدق شيء و لا يمكنك قول هذا!"

"لديها الكثير من الشهود، ألن تسمع لهم؟"

"أنا الشاهد الوحيد و شهدت!"

"إذن، لِمَ لا تضعها في السجن؟ لِمَ لم تتخذ أي إجراء ضدها؟"

"أعرف إنها مؤامرة كبيرة تحاكى بنا و ضدنا و تستهدفنا لتهدمنا و تهدم ما بيننا و تهز عرش البلدة و سأفعل ما بوسعي لردعها. لكن هناك أولويات.."

"أي أولويات تقع قبل رد كرامتي؟ قل لي!"

"ألم تصلك أخر الأخبار؟"

"أي أخبار؟"

"زوريتاج تحالفت مع بوانجون ضدنا..خانتنا هي الأخرى، خاننا الأمل. ألديك مخرج لهذه الحالة؟ ماذا سنفعل؟"

"(بحرقة) أتثق في؟ أتريدني معك؟ أم هذه المدعية سلبتك عقلك و غيّرتك.. أنا سمعتها و سمعت رد فعلك.. لم تكن حاسم معها! أتريدها هي أن تبقى بجوارك هنا أم تريدني أنا؟ إختر الآن، فلتكذبني أنا أو تكذبها هي رسميا و تعيد لي كرامتي!"

"(بإنفعال) بكِ كل ما أبغضه من صفات و لكني لن أرضى بغيرك بديلا! أتعلمين لِمَ؟ أتعلمين ما هذا؟ الحب الحقيقي، للأسف! ياليتني ما أتيت! و لتكن نهاية سوانتار على يدي بسببها هي كما شئت أنتِ، أيتها الملكة!"

إنسحب نِرشيس في صمت و لم تظهر أترودين أي رد فعل، و منذ ذلك الحين، لم يتحدثا مع بعضهما البعض.

الفصل الثالث و العشرون:

ما أن عادت إكسنترا إلى البيت حتى جلست على الأريكة في غرفتها و معها مذكرات توفيلي، فتحتها مرة أخرى و كأن هذا هو الكتاب الوحيد الذي تحتاجه و تستمتع به بمرارته و عذوبته و مفاجآته و صدماته بالرغم من عزوفها عن هذه الحياة. قرأت العديد من الصفحات إلى أن توقفت قائلة:

"كنتَ مستقبلي، ماضيك حاضري و حاضرك مستقبلي.. كنت أنت و حياتك.. أنا و إنعكاس لغدي.

(بالدموع المنهمرة) تخونني الدموع بتآمرها مع الذكريات. و لازلت أشتاق إليه و كأن هذا القلب لم يمت كفاية و لم يعذب للنهاية. ستحرق نار حقدي و غلي و ألمي ما تبقى لدي من إحساس، لن أبرؤ منها سوى بالدم و الهدم و نظرات الألم و الندم و الحسرة في عيونهم."

دخل أريسبكتو البيت وأخذ ينادي: " آرمشيو! آرمشيو!" لكن ما من مجيب.

خرجت له إكسنترا قائلة: "ماذا يحدث؟"

رد عليها: "هل خرج آرمشيو اليوم؟ هل عاد و خرج مرة أخرى؟ أين هو؟ لا أجده! قد حل الليل، هذه ليست من عوائده!"

أجابته إكسنترا: "إهدأ! سيعود! أتدري؟ فلنذهب لنبحث عنه! ألديك أي فكرة عن الأماكن المحتمل أن يكون فيها؟"

"يريد أن يذهب لأترودين!"

"(بفضول حذر) يذهب لأترودين؟ الملكة؟ لِمَ؟ ألديه شكوى؟"

"(بإستخفاف) لديه ما يقوله لها!"

"ألا تعرف ماذا يريد أن يقول؟"

"لا، لم يقل لي شيئا!"

"سأذهب و أبحث عنه إتجاه القصر و أنت إبحث في إتجاه السوق، إتفقنا؟"

"إتفقنا، ثم سنتقابل هنا، لعل أحدنا يجده!"

"لا تخف عليه، هو يعرف ما يفعل.. (ناظرة أمامها في ثبات و ثقة) أشعر بذلك!"

خرجا أريسبكتو و إكسنترا من باب البيت كلا في إتجاهه.

في طريقها، رأت إكسنترا آرمشيو عائدا من القصر الملكي سارحا و على وجهه خيبة الأمل. رجحت إكسنترا أن يكون السبب في هذا حب لا سبيل له كما علمت منهما أو قد يكون خبر لم يصدقه المتلقي و أي خبر هذا سيكون لدى آرمشيو و لم يعلم به أريسبكتو؟ هل سمع شيئا؟ لِمَ لم

يعود إلى البيت اليوم؟ و لِمَ لم يتحدث مع أحد الليلة الماضية بعد أن عاد متأخرا بغير مواعيده المعتادة؟ إذن، هو خطر...

ظهرت إكسنترا له فجأة قائلة: "سر القوة، آرمشيو، يبدأ بالإحساس الجارف و ينتهي به."

و ما أن إستدار آرمشيو حتى بادرته إكسنترا بطعنة قوية و مفاجئة بخنجر تخبئه دوما معها لتستخدمه عند الخطر. بعد أن قتلته بأيديها دون أي ذنب، مسكت أداة الجريمة و أخذت تحدق بها، ثم قالت: "ها أنا ذا أشهد بوادر قسوة القلب الطيب المرهف الرقيق و أعلن.. أعلن إنقلابي على طبيعتي.. تمردت على الإنسانية التي لطالما عذبتني و صرت عدوة لها."

تركت إكسنترا آرمشيو ملقى بجانب صخرة في الطرقات و إستكملت بحثها في هدوء.

بعد دقائق صمت و بعد أن بعدت عنه مسافة قالت: "أمواج الشتاء العاتية تهز الأجواء و تعصف بالبشر، و ها أنا ذا أعيش وجع الحياة، أُدمَّر و أُدمَّر لأدمِّر بلا رحمة، بلا رجعة، بلا تردد، بلا إشتياق.. بلا هوادة، بلا إنسانية.. أنا فقط و يجتاحني الجفاء!"

عادت إكسنترا إلى البيت، وجدت أريسبكتو جالسا قلقا حزينا يفكر بلا إنقطاع، ما أن رآها حتى إندفع نحوها و قال: "هل من جديد؟ هل وجدتيه؟"

قالت، بهدوء: "لا، للأسف، لم أجده!"

قال: "أين سيكون؟ أين سيكون في هذه الساعة المتأخرة؟"

جلس مرة أخرى في حيرة.. بعد دقائق، سمعا طرق على الباب..

قال أريسبكتو في لهفة: "إنه هو! هو! لكن آرمشيو معه المفتاح."

هرع أريسبكتو إلى الباب و فتحه، وجد شخص أمامه لا يعرفه يلهث و ورائه عدد من الأشخاص، سأله أريسبكتو: "من أنت؟ ماذا تريد؟"

رد: "آرمشيو! وجدنا آرمشيو مقتولا.. فلتحضر معنا!"

"(صدم و ذهل) ماذا؟ أين؟"

"قرب ميدان القصر!"

"القصر؟!"

"سآتي معكم!"

خرج أريسبكتو من الباب مسرعا و قدمت معه إكسنترا..

ما أن وصلا المكان المنشود و شاهد أريسبكتو آرمشيو و قد فارق الحياة حتى بكى أريسبكتو كما لم يبك من قبل.. إنتهزت إكسنترا الفرصة و قالت: "لا تبك، أيها الفارس! لا تقلق، لن يكون مصيرك كمصيره.. أظنه أخطأ!"

"أنا أبكي على صديقي و رفيق عمري.. ما أنا بعمري أترقب أي نهاية أو مأخذ!"

"أعرف الصدمة.. أعرف ألمك.. و لا يمكنني مواساتك، فمثل هذه الأمور يكون في الإنتقام عزائنا."

"الإنتقام؟ ممن؟"

"ألم تسمع؟ "القصر"؟ "ميدان القصر"؟"

"أتقصدين...؟"

"من هذا الذي يمكنه الفتك بأقوى الفرسان سوى ولي الأمر الذي ترجع إليه الأمور؟ من هذا الذي يعرف آرمشيو و لا يحبه؟ من هذا الذي يمكن أن يتحول حبه لعداوة و ضرر يستدعي القتل و الخلاص؟ و في هذا الوقت.. لدي الكثير من الظنون.. لكن كلهم يصبون في نهر واحد.. النهر الذي شرب من عذوبته فأحبه في صمت ثم قسى عليه و أخذ يصارع فيه وحده حتى غرق هو فيه، و أصبح ملوثا بدمائه، و ما لنا الآن سوى الإنتقام المميت! لا تبكي! إثأر و إبدل سيل دموعك بفيضان دماء القاتل الوضيع!"

على صعيد آخر، حاصر الشعب بيت الوسطاء و لم ينتظر تحقيقات الشرطة.. حاصروا البيت و لم يتركوه إلا بعد وصول الشرطة و قبضها على الوسطاء و وضعهم في السجون فقد شعر الشعب إنهم غير آهلين بالثقة، حتى و إن كانت مزاعم إكسنترا و أريسبكتو خاطئة، فقد تداخلت إتهاماتهم مع نزاهة ملكتهم مما أغلق الباب أمام أي خيار أو حوار، و بهذا هزت الثقة و عصف بمنصبهم الحساس.. كما إن ذلة وينرال و إتهامات إكسنترا له و لهم كلهم قضت تماما على مستقبلهم كوسطاء و لا مستقبل لهم أحرار، و إنتهوا بغلق باب بيتهم و مقر عملهم بالشمع الأحمر.

الفصل الرابع و العشرون:

دخل أريسبكتو غرفة آرمشيو يتذكره و يُبكيه و إذ به يجد خطاب تحت وسادته، فحص الخطاب فوجد إسمه عليه ففتحه و قرأ الآتي:

"صديقي العزيز أريسبكتو،

أكتب لك و لا أعي إلى أين ستأخذنا الحياة و لا أعلم لِمَ إخترت هذا التوقيت بالذات و لكني أشعر بالقلق، لذا إتركني أقل ما لدي لتقرأه أنت يوما من الأيام أو لأمزقه أنا أو لنقرأه معا و نضحك عليه..

لا أعرف عن هذه السيدة شيء، و لكني لا أشعر بأي راحة في وجودها معنا، يخالطني العجب مما حدث منذ أن دخلت بيتنا؛ تمكنت من أن تكون واحدة منا بسلاسة و يسر.. تمكنت أن تحادثنا و تتعايش معنا و كأنها تعرفنا منذ سنوات.. لا أعرف لِمَ، مثل هذا الإحساس نكنيه لمن نحبه فقط، كيف هذا و أنا أبغضها؟ لها مصلحة في ذلك، لديها خطة و نهج، لا تلقائية في إسلوبها، تحاول أن تجمع إجابات كثيرة لا تعنيها بطريقة ما.. أنا لا أفهم شيء.. لا أفهم كيف غيّرتك، كيف جعلتك طوع لها؟ كيف شحنتك ضد أقرب الناس لنا؟ أستفرق بيننا؟ أم إكتفت منا و لم نعد ما يهمها؟

سأذهب لأترودين كما قلت لكَ سابقا.. سأذهب لها، هذا عهد إتخذته على نفسي.. سأذهب لها و ليكن ما يكون..

إحترس، أريسبكتو! إحترس! لطالما سخرت من إحساسي و هو الآن يسخر من حالنا و يسخر منا و ينبئني بنهاية إسطورتنا على يد من في غمضة عين بات منا و هو ليس منا.."

قال أريسبكتو في حسرة و ندم و الدموع تملأ عينيه: "بل على يد من كان منا.. ياليتني منعتك من أن تذهب.. دخلت قفص الخطر و لم تسمع أجراسه تقرع. ذهبت للخائنة و لم ترجع!"

و منذ ذلك الحين، ظل أريسبكتو في عزلته يخطط لقتل أترودين في صمت يملؤه الأسى و الشجن. رؤيته إكسنترا من وقت لوقت ردت له الحياة، و تحفيزها له و تحريضها المستمر جعل له هدف يعيش من أجله، لولاها لكان إنتحر..

و هكذا كان إستنتاج إكسنترا صحيحا: "ماضيك حاضري.."

في أرجاء المدينة، كان لموت آرمشيو صدى و لم يعرف أحد السبب في موته و لكنه كان أمر مهم و محير لهم..

قال أحد المواطنين: "لم يعد لدينا فرسان! لم يعد لدينا سند نلجأ إليه! مات آرمشيو!"

رد عليه آخر: "قُتِل أم إنتحر؟"

"هذا هو السؤال!"

"بعد ما فعله أريسبكتو؛ أرجح إن هذا الخائن قتله. أصبح آرمشيو خطرا عليه؛ من الواضح إنه كان ضده. أنا متأكد إنه قُتِل، ليس من شيم آرمشيو الإنتحار مهما إشتدت الصعاب.."

"الفارس المنقذ أصبح مجرم؟ كيف سنعرف الحقيقة؟"

"ستظهر في وقت ما! يكفينا الآن حزننا على ما فقدناه!"

"راح و راحت معه الشهامة و الطيبة و نبل الأخلاق!"

"غادِرٌ قتله، تمكن منه بخبث، فبقوته هذه لا يمكن أن يتغلب عليه أي شخص."

"فليرقد بسلام!"

"ماذا عن الملكة؟ هل عرفت؟"

"لا أعتقد هذا، و هل سيهمها الأمر؟"

"قد لا يهم الملكة، لكنها أترودين.. إنها أترودين! ستحزن كثيرا!"

"إن عرفت... لقد أصبح من ماضيها و إنقطعت خطوط الوصل بينهم."

"من يعلم؟ قد يجد جديد!"

الفصل الخامس و العشرون:

في إحتفالات سوانتار بعيد الإنتصارات، جلس الملك و بجانبه الوزراء يشاهدون العروض المقدمة على المسرح.. بدا نِرشيس قليل الكلام، مشغول البال، مرسوم على وجهه العبوس، يصفق بتكلف بدون أي إنسجام..

فجأة، إنطفأت الأضواء، و عم الظلام القاتم أجواء المسرح. بعد بضعة دقائق، عادت الأضواء و بقوة.. و إتجهت كل الأنظار إلى الملك، وجدوه مبتسما متحمسا سعيدا و يصفق بحرارة.. إطمأنوا كثيرا فالملك لازال جالسا مكانه و لم يغضب و لم يصبه أي مكروه.. كان مجرد عطل فني في الكهرباء.

قال له أحد الوزراء: "هل جلالتك بخير؟"

رد عليه: "بخير؟ حتما بخير! فأنا لم أكن بهذا الخير من قبل.. أنا أكثر خير منك و منك أنت أيضا.. لِمَ تحملق في مشروبي، أيها الفقير الجائع، منذ أن ولدت و لطالما حييت؟ خسئت! سأسجنك حتما إذا شئت!"

إستُكمِلَت العروض و إنتهى اليوم، و عاد الملك إلى القصر..

دخل الملك القصر و هو سعيد ينظر حوله بنظرات حالمة، يحلم بأن يكون كل هذا ملكه و يحسد من سبقه و يحقد عليه، فجأة سمع صوت يقول: "فلنجرب لاميردن بدلا من زوريتاج."

"لن أشرب مشروب الشعب، عجبني هذا الذي شربته اليوم!"

قالت أترودين: "أي مشروب، أنا أتحدث عن.. لابد إنك مرهق و.. لازلت غاضب مني؟"

"لِمَ سأغضب؟ أتريديني أن أكون غاضبا؟ بم سيفيدك؟ تضريني أنا؟"

"لم تعد تتحمل طباعي و مخاوفي.."

"الملك لا يتحمل شيء.. يجب أن أضيف هذه المادة في الدستور."

"ماذا بشأن هذه الفتاة؟"

رد الملك بسرعة، بذعر و إنكار تام و كأنه تذكر شخص ما يتبرأ منه: "لا أعرفها!"

"ألن تحاكمها؟"

قال بصراحة و بسرعة: "جريمتها جريمتك، يجب أن أكون عادلا.."

نظر الملك حوله بسرعة، وجد بابًا، إتجه نحوه، فتحه و دخل الغرفة، ثم أغلق الباب في وجهها قائلا: "لدي الكثير من المهام!"

لاحظت أترودين إختلاف نطق الملك لبعض الحروف؛ فنِرشيس كان ينطق حرفي الهاء و العين بشكل كامل و مميز و عميق و ينطق حرف السين بنصف القوة التي ينبغي أن تنطق بها.

قالت أترودين، لنفسها: "الوقاحة ليست من شيم الملوك و لم تكن أبدا بصفة لنِرشيس.. هل ما حدث يمكنه تغيير طريقة نطق لسان الإنسان للحروف و طبيعته و طريقة تعامله مع الناس؟ أم يمكن للغضب أن يفعل هذا؟ لابد و أن هناك شيء ما.."

كان الباب الذي فتحه الملك باب غرفة المكتب.. نظر حوله لبعض الوقت متأملا المكان و كأنها أول مرة له يدخل فيها غرفة كهذه ففتح عينيه أكثر و أكثر و تدور في باله الكثير من الإطراءات على حظه و عليه هو شخصيا..

بعد دقائق، وجه الملك نظره للبحث عن كرسي ليرتاح قليلا و ما أن وجد الكرسي و جلس عليه حتى رأى أمامه الكثير من الملفات عليها أسماء العديد من الطلبات المحلية و العروض و الصفقات الدولية، لم يشد إنتباهه سوى ملف صفقة "رمال البحر" ففتحه و بدأ يقرأ فيه و هو متعجبا من إسمه و كله فضول و حماس ليعرف ما يحتويه و عم يتحدث.

كان حدس أترودين صحيحا، فقد كان الملك ليس بملك.. كان واحد من الشعب.. لم يكن زوجها، كان شخص آخر لم تعرفه من قبل.. كان موفلريل.. شاءت الأقدار أن يكون ملكا في غمضة عين.

الفصل السادس و العشرون:

من هنا، حان دور روچنارين في المباراة..

بعد يومين، ذهبت روچنارين إلى القصر و إتجهت إلى منطقة السجون لتتسآل عن الأوضاع. قابلت نائب چاشيندره الجديد؛ و هو جندي كانت قد إنتهت مدة خدمته و إنضم للجنود الذين أعلنوا ولائهم للملك المسجون و الذي أصبح منذ ذلك الحين حلقة الوصل بين كل أطراف اللعبة؛ روچنارين، موفلريل، چاشيندره، و الجنود المنحازين له.

روچنارين، فتاة نشيطة شعرها بني و عيناها خضراء.

سألت روچنارين: "متى سننتهي من هذه السيدة المملة الكئيبة التي تعيش في القصر مكاني؟ أنا أريده.. أنا أريد العرش! لِمَ هو يحكم هناك و أنا أراقب هنا؟"

رد عليها: "اصبري!"

"و كيف يكون ذلك؟"

"هذا يعتمد على ذكائك!"

"طبعا أنا ذكية، أذكى منه، و أين أنا الآن؟ و أين هو؟"

"سأذهب الآن!"

"إذهب.. إذهب.. لا فائدة منك!"

خرج نائب چاشيندره..

قالت روچنارين، لنفسها: "سأحمي العرش لي، هذا هو وقتي! التخطيط للأبدية! هذا عرشي! البعض يحيد عن فهم ذلك، سيفهمون! لدي أساليبي! لابد أن أستعد لهذه اللحظة، لحظة التتويج و تنصيبي ملكة."

عادت روچنارين إلى بيتها بعد أن قضت اليوم في منطقة سجون القصر التي سمح لها أن تدخلها لتتلقى التعليمات وتتواصل مع من وظفهما و تتابع تطورات الأحداث.. عادت و قد خرجت من هذا اليوم بما إعتبرته مكسب، فقد لمحت أثناء جولاتها حارس كانت له كاريزما خاصة تؤهله أن يكون في منصب أعلى بكثير مما يشغله في هذا الوقت، فإتخذته كخطة بديلة للوصول للعرش.. لم يكن العرش و الكاريزما كل همّها، لكنها دون أن تشعر أحست بشيء لم تفهمه يقربها منه، منه هو دونا عن باقي الحراس و كل من رأتهم من قبله.

"أنا أعيش على أمل، و سيطول الأمد و لن يأتي الأمل.. يمكن لهذا الحارس أن يهز العرش و ينتزعه، لديه فرصة وفيرة للفوز، للفوز بكل شيء.. سيحبني بمجرد أن يراني؛ فأنا أعي جيدا قوة سحري و تأثيري. أعرف الآن ما أريد، أنا سأراهن عليه."

هذا الحارس إسمه لوريسو، لكن لم تعرف روچنارين إسمه، كان طويل البنية، شعره ذهبي اللون و عيناه زرقاء.

في صباح اليوم التالي و بمنتهى الأناقة، دخلت روچنارين منطقة سجون القصر الملكي و أخذت تبحث عن الحارس إلى أن وجدته جالسا مع زملائه الحراس.. قضت روچنارين اليوم ذهابا و إيابا في ممر السجون لتلفت إنتباهه لكنه لم يعيرها أي إهتمام. إغتاظت روچنارين أكثر و حاولت أن تفعل شيئا، ذهبت له و قالت: "أريد أن أدخل هذا السجن (مشاورة على إحدى الزنزانات أمامها).. إفتحه لي!"

رد عليها: "لا أحد بالداخل لتزوريه!"

"أريد أن أقضي بعض الوقت فيه!"

"من يدخله بالطلب، لا يخرج منه أبدا، أتعين ذلك؟"

"أنا أعي كل شيء، لا تهددني، ألا تعرف من أنا؟"

"فتاة مدللة لم تنضج بعد و لا أعرف كيف سُمِحَ لها بالدخول لهذه الأماكن!"

"أتهيننني؟"

"أنتِ من سأل، لا تلوميني!"

"لا أعرف لِمَ إختاروك كحارس؟ لتذكر الناس بأحلك أيام حياتهم.."

"ألهذا أتيتِ إلى هنا؟"

ضحك هو و من معه..

نظرت له غاضبة و قد شعرت بالحرج لا تعرف ماذا تقول، حاولت أن تبتسم لكنها لم تستطع، و ما عليها إلا أن قالت: "هذه غلطتي أنا!"

خرجت من منطقة السجون بخطوات سريعة جدا، كانت غاضبة وعيناها يملأها الدمع..

عادت روچنارين إلى بيتها، دخلت غرفتها منهارة تقول: "هل لا سحر لي؟ لا تأثير لي؟ إنطفأ كل شيء! ما عدت أملك شيء، ما عاد لي قيمة و لا قدرات! جرح كرامتي، هذا الأخرق! كيف تجرأ على معاملتي هكذا؟ كيف تجرأ على إهمالي و رفضي و السخرية مني؟ سأنتقم منه هذا الـــ.. هذا الـــ.. لكني لن أشتت إنتباهي عن هدفي و حلم عمري.. لن أجعله ينجح في أن يكون سبب فشلي. بعد أن أمسك الزمام و اللجام ستحل العقد و سيتكلم السوط و سآخذ حقي و أكسره و أذله، هذا ما يليق به!

ليس أمامي الآن سوى موفلريل، لابد أن أستغله فهو السبيل الوحيد أم إنه قد آن له الوقت أن يتمرد علي و يتركني و يكسرني؟ جذور العرش في قمة ضعفها؛ فهي منهكة الآن تحارب للبقاء، هذا هو أفضل وقت لتسديد الضربة.

(بثقة) خسارته هو في كل الأحوال!"

الفصل السابع و العشرون:

في صباح اليوم التالي لموفلريل في القصر، نادت أترودين من مسافة: "نِرشيس!"

قال موفلريل و هو جالس في غرفة الملك، لنفسه: "لن يكتمل يوم إلا بتعكير صفوه.. ياللسماء المنقذة! ياللأرض المتحركة! ياللأقدار المحتومة الساخرة! ياللسيدة المزعجة!" ثم رد عليها: "نعم! نعم! نعم!"

قدمت و جلست على الكرسي المقابل له بالقرب من النافذة و الفطار أمامهما على المائدة..

"ماذا ستفعل اليوم؟ قضيت الليلة الماضية في المكتب تدرس الصفقات.. ماذا نويت؟"

"سأبرم إتفاقية رمال البحر!"

نظرت له أترودين لبعض الوقت لتعرف أسباب تغيره.. إنعكست أشعة الشمس على وجهه و تغير لون عينيه.. كانت عيون نِرشيس بنية و تكون عسلية في ضوء الشمس أما موفلريل فبالرغم من أن عينيه بنية لكن تتخذ اللون الأخضر لونا لها في ضوء الشمس و هذا ما لاحظته أترودين..

سألت أترودين، تلقائيا: "من أنت.. (عادت لوعيها) تُحدِّث؟"

"أحدثك أنتِ! هل هذا يحتاج إلى سؤال أم حمدا للرب إنتهت كل أسئلتك؟"

"هذا صحيح أنا الملكة.. لذا سأحكم أنا!"

"تحكمين أنتِ؟ لِمَ؟ لديكِ تاج، لدي تاج! تعيشين في القصر، أعيش فيه! إبنك وريث العرش و هو إبني أنا أيضا.. ماذا لديكِ لتحكمي أنتِ؟ لن تحكمي؟ و ماذا أنا أفعل؟ أصفق لكِ؟"

"ألا تعرف فن التصفيق، أيها الملك القوي؟"

"أعرفه طبعا، قضيت البارحة أصفق و أصفق.. لكني كما قُلتِ أنا الملك القوي، فسأحكم أنا!"

"لكن أتعرف؟ لست بقوي!"

"الحقيقة مؤلمة تقبليها؛ فقد وظفتيها في الجملة المناسبة و إستخدمتها و دافعت بها عن حقي و كانت لي كافية."

"القوي هو من يجرح الناس بقراراته الحاسمة و بعد لحظات يصفقون له.. أنت تتردد كثيرا لأنك تحب الناس و تخشى أن تجرحهم أو تحزنهم."

"هذا صحيح! أنا لا أحب أن أغضب أحدا، علام تقوم الخلافات و النقاش و الجدال؟ لا شيء يستحق أبدا.."

علقت، لنفسها: "لكن نفس نظرية نِرشيس، عجبت لحيرتي و ما أرى!"

"هل قرأت كتب تاريخ سوانتار؟"

"نعم، قرأتها كلها! أنا ملك، إذن أنا مثقف!"

علقت أترودين، لنفسها: "لكن ليست نفس الإجابة و لا الموقف!"

"لِمَ تعاملني هكذا؟"

"أعاملك أفضل معاملة.. إسألي باقي الملكات.. و هذا أفضل ما عندي!"

"أتتذكر...؟"

"لدي صداع.. أظنني فقدت الذاكرة!"

ثم نهض من الكرسي و خرج مسرعا إلى الحديقة..

قالت أترودين، في ذهول و صدمة و ألم مكتوم: "نِرشيس!"

ثم سكتت متجهمة و كأنها تتلقى نصيبها، في صمت، من أوجاع الحياة..

الفصل الثامن و العشرون:

طال الوقت و لم يحدث شيء، فذهبت روچنارين إلى منطقة السجون متحفزة و مصرة على وضع حد لهذه المهزلة كما رأتها..

وقفت روچنارين في بهو منطقة السجون، قابلها الحارس الذي نشبت معه مشادة كلامية المرة السابقة و قال لها: "أين أنتِ ذاهبة؟"

قالت روچنارين، و هي غاضبة متجاهلة الحارس: "لا تكلمني!"

"لا أريد أن أكلمك، أنا أسأل حتى لا أمنعك.. أو بمعنى آخر، أمنعك بالسؤال!"

"أنت أقل مما تتصور نفسك!"

تدخل نائب چاشيندره و قال لها: "ماذا تريدين؟"

ردت: "أريد أن أقابل ملككم.. چاشيندره!"

قال نائب چاشيندره: "لا يمكنك الدخول للملك!"

إنصرف الحارس و أخذت تنظر له روچنارين بغضب و غيظ إلى أن خرج من الممر، ثم عادت للمحادثة و قالت: "لِمَ؟ هل هو في قبة عالية في قصر حصين؟ (بسخرية) هو في منفى، في إحدى السجون.."

"كيف تجرؤين على الحديث بمثل هذه الطريقة عن الملك؟ أفقدت عقلك؟ تستحقي العقاب و المحاكمة!"

"أنت من يستحق العقاب و المحاكمة، لِمَ كل هذه المدة؟ لِمَ كل هذه المماطلة؟ لِمَ تتم الأمور في سرية تامة؟ لِمَ لا تشركونا معكم؟ أريد أن أشكي للملك سوء إدارتك للأمور، أنا أكره الوسطاء.. أريد أن أتفاوض معه.. فليصح العهد و تعدل الإتفاقية لتكون عادلة، أنتم من تحتاجوننا، لِمَ نُعامَل و كأننا لا قيمة لنا و كأنكم تتفضَّلون علينا؟"

"سأوصل لعظمته ما تقولينه هذا.. أي شيء آخر؟"

"حدد لي ميعاد معه!"

"مستحيل!"

"إذن سنبقى في الظلام مهددين بلا حول لنا و لا قوة و لا سند و لا تعريف؟ هذا ما تنوون فعله بالتأكيد!"

"إسمعي، في لحظة يمكننا إخراجكما من هذا الحلم إلى أحقر شوارع سوانتار.. إنتبهِ لما تقولين! فعلا، لا قيمة لكما و نحن نعطي كل شيء القيمة الصحيحة له، لا نحتاج نصائحك أو تنويهاتك.. سأوصل ما قلتيه و لتتحملي أنتِ المسئولية كاملة.. أراكِ.. على خير، إن كُتِبَ لكِ!"

شعرت روچنارين بالخطر، شعرت بالغدر.. لم تستطع أن تكتفي بهذا و تعود إلى بيتها، بل حاولت أن تقابل موفلريل عند الباب الخلفي للقصر. كان موفلريل في الحديقة وقتها و لمحها، فذهب إليها بسرعة كي يمحي كل أثر من ماضيه أو بالأحرى من واقعه.. قال لها، بصوت منخفض: "ماذا تفعلين هنا؟ هل جننت؟ ألا يمكنك الإنتظار مدة أطول؟ لطالما صبرتِ ما مضى من العمرِ!"

ردت روچنارين: "لم أعد أنتظر!"

"إتخذتِ مهنة جديدة إذن؟"

"قد تكون محقا!"

"و ما هي؟"

"أصبحت مُحذِّرة!"

"و ماذا تفعلين هنا، أيتها المحذرة؟"

"جئت أحذرك!"

"و ماذا ستفعلين إن لم أستمع إليكِ؟ هل سترغميني على ترك العرش؟ لن يفلتك حراس القصر! هل ستقولي للشعب غير ما يراه؟ لن يصدقك الشعب و لن يتركك!"

"لا أحذرك مني، كما يهيئ لك.. أحذرك من نفسك! لن يتركوك بسلام!"

"لِمَ؟ لا حق لهم إن تركوني، لن يجدوا مثلي! لكن لِمَ تقولي لي ذلك؟ هل إفتقدتيني؟"

"أفتقدك؟ أنا لا أريد العرش و لا أريد القصر و لم أعد أريدك أنت شخصيا!"

"خسارتك!"

"خسارتي؟ أنا؟ (بثقة) أتحدثني عن الخسارة و أنت بوارثها؟ أتظن إنهم سيتركونك كما أنت في النعيم؟ حسِن الظن أنت! هم يستفردون بك، سيتركونك في الجحيم و ليس النعيم الذي تتغنى به، ستكون وحدك و سيطيحون بك!"

"(بإنفعال) خاطئة، مخطئة، كما أنتِ، كما كنتِ! كل هذا لأنكِ لازلتِ طامعة في العرش و هو ملكي الآن! غلك لن يكون سمِّي! لن تكوني سبب هزيمتي و إجتزازي من عرشي!"

"سترى! سترى أيها الأحمق! أنا أرى البوادر و سأكمل كما بدأنا.. لكن تذكرني وقتها!"

"وقتها؟ (بسخرية) أي وقت هذا؟"

"ستعلم حينها!"

"ستظلين كما أنتِ؛ موهومة و ساذجة و حاقدة! مللت منكِ، أخرجي!"

"سأخرج الآن و ستخرج بعدي و قد تمكن منك سيف الحداد!"

ثم إنسحبت روچنارين بقوة و عادت إلى بيتها و هي كارهة لحلمها قائلة: "ياليتني ما حلمت! ضربة الحظ خدعة لا تدوم و لا لي فيها حق."

أما موفلريل، فبعد أن أفسدت روچنارين أجواء استمتاعه، صار يشعر بالملل من كل شيء، و خصوصا من أترودين، فنزل إلى منطقة السجون ليضمن ما هو فيه من حال بطريقة غير مباشرة.

قابل موفلريل نائب چاشيندره فقال له: "قلت لي سأكون الملك و يجب أن أفعل ما يفعله الملك و خصوصا هذا الملك.. لكن هذه السيدة لا تكف عن إزعاجي! هل كلهم هكذا؟ ألا يمكنني التمتع دون مشاجرات و تفاهات؟"

قال النائب: "أتشك فيك؟"

إرتعب مولفريل من السؤال و خاف أن يكون في هذا دلالة على فشله في حبك الدور: "كيف ستشك؟ لِمَ؟ أبدا! أنا أتسآل: "هل هذه مكافأتي لإني أتقنت أن أكون أنا نسخة نادرة طبق الأصل من الملك؟""

"كن صريح معي! نحن فريق واحد، ما يضرك، يضرنا.. إن شكت، لدينا الحل!"

"الحل! إفعله، إفعله أرجوك! لا أدري ماذا يدور في وجدانها، هذه الساحرة العجيبة! فلتفعل ما تريد، خلصني منها!"

"ماذا عن خطيبتك.. أتريدها ملكة معك؟"

"روچنارين! أصبحت هي بسيرتها بداخلي كورقة شجر صفراء جافة لا حياة فيها تنكسر مني إذا حاولت أن أحييها بالذكريات.. جمعنا القدر سويا و أبقى على صحبتنا إلى أن وصلنا لهذه الحالة.."

"فهمت! أريدك أن تتابع معي و تطلعني على أخر الأخبار.."

"هذا ما أفعله! أليس هذا ما أفعله؟"

إستدار النائب للحظات ثم إلتفت إلى موفلريل مرة أخرى قائلا: "قل لي: ماذا تفضل؟ أن تحكم أم أن تأخذ المال؟ الكثير منه!"

"لا يفيدني الحكم و لا أريد المزيد من الإزعاج.. أنتم لها و لي أنا المال."

"إذن نفذ ما تؤمر به و لن يتوقف الإستمتاع."

"(ناظرا نحو القصر) هل كان يعيش هكذا؟"

"دورك أن تعيش حياته بإسمه و يحرم هو منها و هي تحسب عليه حياة."

في خضم كل هذه الأحداث، شعر الشعب بتغير في حكم ملكهم الذي بايعوه وكان هذا التغير يسرى ببطء..

قال أحد المواطنين: "أنسيت إنه أجنبي غريب؟ لِمَ ستهمه مصلحة البلد؟ حتى خيانة وطننا لن يراها خيانة، فهي ستكون له بمثابة أعمال تجارية، صفقات مربحة، لا أبعاد وطنية و لا إنتمائية و لا حياتية و لا مصيرية لها."

رد عليه آخر: "أتعتقد هذا؟"

"لطالما رفضت إدعاءات أريسبكتو، لكن.. إتضح لي إنها كانت تحمل شيء من الصحة.. هم يبيعون الأرض للأجانب، أصبحنا ضيوف على أرضنا، قد يكون وجودنا فيها مؤقت.."

"كيف هذا؟ هذا مستحيل!"

"مد سنوات الإمتياز.. تعيينهم هم في وظائفنا بإعتبارهم أحسن منا و أكفأ منا.. تم توطينهم هنا، هم أهله و أصدقائه، لِمَ لا ينالون كل الفرص؟"

"لكن...."

"لكن لا يمكننا السكوت أكثر من هذا.. لا يمكننا، فقد وصل المد أقصاه!"

الفصل التاسع و العشرون:

في سجون القصر، وقف چاشيندره متعجبا مبتسما بعد أن رأى صورة موفلريل و صورة نِرشيس.. فهو لطالما أتته الأخبار و الصور أول بأول بفضل جنوده..

تسآل چاشيندره، متعجبا: "أين وجدتموه؟ الشبه يكاد ينطق بالعجب!"

أجابه الجندي الأول: "كان مسجون، سارق، من منتهزي الفوضى وقت النكسة التي ألمت ببلدنا و خرجنا منها بملك ليس منها و بهادمها.."

رد چاشيندره: "أصبت!"

قال الجندي الأول: "هؤلاء الذين يتشابهون في الملامح لهذه الدرجة، كثيرا ما يتشابهون في العديد من سماتهم الشخصية، لازلت أتعجب من هذه النظرية، لكننا لاحظنا تشابهات أخرى بينهما؛ الإثنان يفضلان الإستمتاع بالحياة فوق أي شيء آخر.. الإثنان لهما نفس طريقة الغضب و نفس طريقة السماح و العتاب.."

سأل چاشيندره: "يتصرف كهذا الذي... أين هو الآن؟"

رد الجندي الاول: "في السجون السرية، تحت الأرض.. لا يمكن أن يخطر على البال إن خاطف الملك سيخبئه في سجونه هو التي يضع فيها من يشاء."

قال چاشيندره: "أصبت! أصبت! لكن هل يمكن لهذه التي تعيش في القصر أن تعرف الفرق؟"

رد الجندي الأول: "لا فرق! لا يمكنها إيجاد ما ليس بموجود! للإحتياط، أعطينا الشبيه الأوامر بأن يقلل وقته معها و لا يجادلها كثيرا.. كما إن علاقتهما اليومية لا تحتاج بصمته.. و إن رأتهما معا، مثلا، لن تعرف الأصلي من المزيف، و أشك في قدراتنا نحن في حل هذا اللغز البصري."

دخل عليهم نائب چاشيندره قائلا: "قريبة الشبيه تلك تريد أن تراك، أيها الملك!"

قال چاشيندره: "أي قريبة هذه؟"

رد النائب: "إسمها روچنارين!"

قال چاشيندره: "سمعت هذا الإسم من قبل.. ذكرني بها!"

رد النائب: "تلك التي كانت تعاون موفلريل على التكيف في حياته الجديد....."

سأل چاشيندره: "ماذا كانت حكايتها؟"

قال الجندي الثاني: "حينما أردنا أن نخرج المسجون هذا من محبسه، و طبقا لقوانين سوانتار، يحتاج ضامن له ليوقع على تعهد بعدم تكرار سبب الإحتجاز.. سألناه عمن يريده أن يضمنه، إختارها هي..

بالفعل جاءت و وقعت على التعهد و كادت أن تنصرف لكنها أحست بإننا نخفي عنها شيئا فخطيبها هذا لم يخرج معها وقتها.. بالمزيد من الضغط و الإلحاح أن تعرف ماذا يحدث و إنها لن تذهب قبل أن تعرف.. كلمها موفلريل و قال لها إنهم يريدونه في القصر.. و ما أن سمعت كلمة "القصر" حتى إنفجرت بطاقة هائلة تذكُر و تَعِّدُ ما لديها من مزايا و مؤهلات لتدخل القصر و تكون معه.. و أصرت أن تعرف ماذا سيكون دوره هناك.

حذرناها من خطورة معرفة هذه الأسرار، أبدت إستعدادها التام و قالت إن المجازفة هي سر تحقيق الأحلام. قال موفلريل إنها حتما ستعرف المهمة بطريقة ما و لن تتركه يذهب بسلام فلتكن واحدة من الفريق..

عرفت إنه سيكون الملك المزيف في وقت ما، لم تسمع للأخر؛ فقد إنطلقت في عاصفة أخرى تؤكد قدراتها و وجوبية وجودها في هذه المهام فهي ملمة بكل ما يحدث في القصور و الحياة الملكية و الإتيكيت الملكي و كل شيء و أكد على كلامها موفلريل و منذ ذلك الحين و هي تتابع الأخبار و تتواصل مع النائب.. و منذ ذلك الحين، لم تغفل عيون الحراس عن بيتها و متابعتها خطوة بخطوة.."

علق چاشيندره: "و لِمَ قبلتم بزيادة الأحمال و ترقب الخطر قبل أن يذاع؟"

رد الجندي الثاني: "لا بديل لنا، فهي صعبة المراس!"

سأل چاشيندره: "ماذا تريد الآن؟"

رد النائب: "تريد أن تثير المشاكل و الجلبة كالمعتاد! لم يعجبها الوضع، لم يعد لديها صبر، تريد أن تكون معه في القصر.. تريد أن تتخلص من الملكة الحالية و تأخذ هي مكانها."

قال چاشيندره: "لا وقت للجلبة و لا نحتاج للمشاكل و لا نحتاجها!"

قال النائب، بخوف: " تريد أن تتفاوض معك، أيها الملك!"

قال چاشيندره: "تتفاوض معي؟ تكلم الملك؟ إرتفع سقف أحلامها، فلينهار فوقها.. لم نعد نحتاجها، و قريبا لن نحتاج خطيبها هذا، فليذهب في وقته معها.."

قال النائب: "أيعني هذا أن..."

أكد چاشيندره على ظن النائب قائلا: "إقتلها! مما سمعته الآن، يبدو لي إنها تصر حد الجنون كما إنها طامعة في العرش، هذا في حد ذاته الجنون نفسه.. هي الآن نكرة، واحدة من الشعب؛ لم يسطع نجمها و لم يُسمَع إسمها و لا يعرفها أحد، فلنخلص منها قبل فوات الأوان، ستجعل من السرية اضحوكة الكتمان."

قال النائب: "سيُنفذ في الحال! سأتفق مع أحد الحراس!"

قال چاشيندره: "من فعلا سطع نجمها هي هذه السيدة التي حاولت أن تهز عرش سوانتار بكسر روابط من إتحدوا.. ها هي و قد شحنت الشعب ضد من يحكمه بالأدلة المتقنة و العبارات البارعة.. من هي؟"

رد الجندي الأول: "إسمها إكسنترا.. أتت من هارسيماس!"

قال النائب: "هي إبنة زعيم شعب هارسيماس المختفي!"

سأل چاشيندره: "و لِمَ هي في سوانتار الآن؟ غريبة، ماذا تفعل هنا؟ قل لي.. أين تسكن؟"

قال الجندي الثاني: "لا محل إقامة خاص بها.. هي تسكن مع أريسبكتو و آرمشيو.. و بعد موت آرمشيو، هي تسكن مع أريسبكتو."

قال چاشيندره: "هل لازال حي؟ أتذكره! فرسان الشعب اللذان رفضهما الملك أن يكونا فرسانه!"

سكت چاشيندره لبرهة ثم إستكمل قائلا: "ميزان قوى سوانتار لا كفة ثانية له.. فلتكن معنا أو لنخلص منها هي الأخرى.."

قال النائب: "كما ترى، أيها الملك!"

قال چاشيندره: "و بالنسبة لهذه التي تعيش في القصر،إخطفوا إبنها.. لعلها تجد ما يشغلها و ترى عقابها جراء شكّها، إن كان لديها البعض منه."

قال النائب: "أمرك مطاع، أيها الملك!"

خرج النائب و وقف في منتصف الردهة في مبنى السجون و نادى على الحارس بإشارة.. قدم الحارس له..

قال النائب: "نريدك في مهمة!"

أومأ الحارس برأسه مرة واحدة مستعد لتلقي الأوامر..

إستكمل النائب كلامه: "هذه التي سمحنا لها أن تدخل منطقة السجون هذه الأيام و الآن هي تتدخل فيما لا يعنيها.. هذه التي تضايقك و أتيت و كلمتها هذا الصباح.."

تعجب الحارس: "ماذا عنها؟"

"إقتلها!"

ذهل الحارس مما سمع و لم يرد..

قال النائب: "هذه أوامر الملك چاشيندره شخصيا! هي تشكل تهديدا على سلامته.."

"لِمَ إختارتني أنا؟"

"لأنك تعرفها أكثر من أي جندي أو حارس هنا.. لأنك أكفأ الحراس!"

"أنا لا أرى إنها تشكل أي خطر.. هي فتاة ساذجة، بأي ذنب تقتل؟"

قال النائب: "هذا تدخل سافر في شئون الملك و إعتراضا على أوامره و تعريض حياة جلالته المعظمة للخطر.. على أي حال، سأعطيك المال، الكثير من المال! ألا تريد أن تخلص منها؟ ألم يكفيك الصداع حِدة؟ أتهمك حياتها في شيء؟"

قال الحارس، متردد: "لكن.. لا يمكنني ذلك!"

قال النائب: "إن لم تقتلها أنت، سيقتلها غيرك.. و سيعود الملك، و هو أمر مسلم به، فالحقوق تعود لأصحابها في النهاية، و سيحاكمك كما لم يحاكم مسجون من قبل."

رد الحارس بهدوء و إنكسار حزين: "كيف؟ أين؟ و متى؟"

"بطريقتك.. اليوم!"

إنصرف النائب في صمت..

بعد يومين، ذهبت روچنارين إلى منطقة السجون مرة أخرى لعل الأمور تكون قد تغيرت، لكن لم تفتح لها البوابة، إنتظرت لبعض الوقت، ثم طرقت الباب كثيرا، لكن لم يستجب لها أحدا.. و ما أن خرجت روچنارين من منطقة السجون حتى وقعت صخرة كبيرة من سطح مبنى لم تنزل عليها لكن كان لها حافة حادة جرحت زراعها جرح طويل عميق لم يتوقف نزفه.. و ها هي و قد حاولت أن تستكمل طريقها إلى بيتها بأسرع وقت و قد شعرت بالخيانة و الغدر في محيط القصر.. ما أن وصلت الشارع الذي تسكن فيه حتى زاد الوهن و الضعف عليها و سارت بتشتت لا بإعتدال.

صارعت روچنارين من أجل الوصول إلى بيتها حتى أتت سيارة مسرعة أنهت معاناتها و وقعت صريعة أمام بيتها بدون أية شبهة جنائية.. رأف القدر بها و لم تعرف من أوقع الصخرة و لِمَ وقعت في هذا الوقت بالتحديد.. كانت ستكون الصدمة كفيلة بأن تقتلها قبل أن تصل البيت..

الفصل الثلاثون:

بعد مرور ثمانية أيام إنتظرت فيهم إكسنترا رد فعل أريسبكتو على مقتل صديقه، لم تجد مفر من إيقاظه مرة أخرى خشية أن يكون قد سامح الملكة و يكون هدأ بقيامه بهذه الرسومات التي لا مغزى منها.

في يوم و أريسبكتو جالس على كرسي بجانب المنضدة يرسم و يرسم و ينهمك أكثر في دنيا الخطوط الحائرة المتتبعة على الورق، وقفت إكسنترا بجواره و قالت: "متى سيحين التنفيذ؟ لكَ في كل ساعة فائتة ألف فرصة ضائعة.. ألم تكتفي من هذه الرسومات؟ ألم تكتفي من البكاء على أطلال الماضي؟ ألن تحرمها من حياتها؟ أم جعلت من جبنك قائد لك يثنيك عن فعل الحق؟ هل ذهب آرمشيو و ذهب معه بأسكما؟ لا تقلها و تخيب ظني!"

رد أريسبكتو و هو سارح لكن بنبرة فيها إصرار: "سيحدث الآن!"

ثم نهض أريسبكتو..

قالت:"أين تذهب؟ لا تندفع بقوة وقود الإحساس، لا تدمر مخططاتنا و تضيع مجهوداتنا هباء.. هذا الوقت الذي ضيعته كان لك أن تستثمره في رسم و تأمين الخطة بدلا من رسم خطوط و دوائر و مستطيلات.. أتعرف مداخل و مخارج القصر؟ هل درسته؟ أتعرف روتينه؟ أتعرف ما يجرى فيه؟"

رد عليها، سارحا بغيظ يخفيه: "أعرف إن لي فيه ثأر و سيتعاون القدر معي.."

علقت إكسنترا، متعجبة: "ماذا يحدث؟ أهكذا كنت تحارب الأعداء؟ أين فن المباغتة و الكمائن؟"

"لا وقت لهذا!"

"قل لا عقل لهذا! هذا العقل الذي أنهكته بالألم و السهر. سأرسم لك المداخل و المخارج.. و سأنتظرك حيثما وجدنا ضحيتها، رفيق دربك مقتولا و قد فارق الحياة، بالضبط في مكان جريمتها البشعة التي لا تغتفر أبدا.. أو سأنتظرك هنا، في مكان ذكرياتكما و أحاديثكما، مكان حياتكما معا، البيت الشاهد على ماضيكما الذي تحن أنت إليه كل لحظة و هو يأبى أن يفك قيدك منه بعد."

بلغ ألم وغيظ أريسبكتو منتهاه، ثار بداخله بركان ظهرت علاماته على وجهه، فخرج من البيت بخطوات مندفعة..

الفصل الحادي و الثلاثون:

في القصر الملكي ليلا، كان جميع العاملين مشغولين، فقد كانت الملكة أترودين تستعد لحضور حفل إفتتاح أكبر مصنع رخام في سوانتار.. ذهبت أترودين وحدها إلى الحفل؛ فقد كان الملك في بلدة أخرى يوقع إتفاقية رمال البحر، كما قرر هو.

بدا على أترودين الهدوء الذي يحيط بكثرة التفكير، فلازالت صامتة تحاول أن تفهم شيء مما يحدث حولها دون أن يلاحظ أحد أي تغير طرأ لخطورة الموقف إن نشر الخبر، و كذلك تركت أترودين الملك المزيف يفعل ما يريد و هي تعمل جاهدة على الحفاظ على رباطة جأشها إلى أن تتوصل إلى شيء.

لِحظ أريسبكتو، كان عدد حراس القصر هذا اليوم أقل من عددهم المعتاد، فقد ذهب نصفهم مع الملك و بقي النصف الآخر يؤمِّن القصر إلى أن رافق نصفهم الملكة لتأمينها أثناء الحفل..

دخل أريسبكتو القصرعن طريق تسلق الجدران و أنابيب توصيل الخدمات، لكنه لم يجد الملكة.. كان يحسب إن الملك هو من خرج من القصر و إن الملكة لازالت بالداخل.. سار أريسبكتو داخل القصر في حذر، وجد الخدم يدخلون و يخرجون من أكبر غرفة في القصر، غرفة الملكة، كانوا يرتبون الغرفة لتعود و تجد كل شيء مرتب و منظم في مكانه.. إنخرطوا في العمل تاركين الأمير، الطفل الرضيع، نائما في غرفته..

لاحظ أريسبكتو إنشغال الخدم عن إحدى الغرف، و التي كانت أقرب غرف القصر له وقتها، فدخلها ليختبئ فيها لبعض الوقت، لكنه تفاجأ بمن فيها.. تفاجأ بالطفل الرضيع.. أخذ يفكر لدقائق: "هل أعود بعد كل هذا بلا طائل؟ أم آخذ هذا الطفل معي لأساومها به؟ على الأقل، قتلت هي كل ما لي في هذه الدنيا و أنا لن أقتل هذا الذي لم يتعد الإثنى عشر شهرا و تتخذه حياة لها. فلأحرمها منه.. هذا قدره! قد يكون هذا الأفضل له.. أفضل له أن يعيش مع أم خائنة، قاتلة، نجت من خنجري، لكن لن تنجو من مكايدي، مغبة جرمها.."

في هذا الوقت و بالصدفة، فوجيء أيضا من رَأَيَاه من النافذة و هما يقفان خارجها منتظران لحظة الهجوم التي سبقهما لها أريسبكتو.. فقد شاهده الجنديان اللذان أوكلت لهما مهمة خطف وريث العرش و هما يقفان خارج نافذة غرفة الطفل.

همس الجندي الثاني، قائلا: "أريسبكتو فعلها! كيف عرف بهذا؟"

سأل الجندي الثالث، بصوت منخفض: "لكن هذه أوامر عليا! أنأخذه منه؟"

أجابه الجندي الثاني: "لا، لا تستهوِّن به!"

قال الجندي الثالث: "فلنعود لنستشير!"

و تركا الجنديان المكان مسرعين دون أن يراهما أحدا.

قرب أريسبكتو من الطفل، حمله بحذر، و أخرج قطعة قماش كبيرة و أخفاه بها و أدخله تحت معطفه و وضع قطعة قماش أخرى على وجهه بحجة برودة الطقس و إستخدم الخريطة التي رسمتها له إكسنترا في الخروج بهدوء و بتروي من القصر..

دخل أريسبكتو البيت حاملا الطفل يغطيه بالكامل بقطعة من القماش على كتفه..

تعجبت إكسنترا: "ما هذا؟ (أزال أريسبكتو قطعة القماش من عليه) من هذا؟"

"حرمتها من حياتها! هذا إبنها!"

"إبنها؟ ماذا يفعل هنا؟ لِمَ لم تفعلها بالمعنى الحرفي لها؟ ماذا سنفعل به الآن؟"

"أعرف أسرة ستستقبله و يكون فرد منها إلى أن.."

قاطعته إكسنترا: "إلى أن!"

"نعاقبها!"

"عقاب القتل القتل!"

"سأتركها تعيش الثكل حتى تفقد عقلها.. و الولد، إنتهت علاقتهما به.. هذا سرنا! سأذهب الآن، لا تقلقي، كل شيء على ما يرام!"

و كأن كلمات أريسبكتو هذه موجهة إلى إكسنترا، في الحقيقة، كانت هذه كلمات يهديء أريسبكتو بها نفسه بعد جريمته تلك التي إرتكبها في حق أصفى و أنبل العلاقات البشرية.

أدارت إكسنترا وجهها في إستياء و عدم رضا و إحتقار لما إستطاع أن يقوم به أريسبكتو دونا عن غيره من الأفعال الإنتقامية التي تصورتها و حفزته و حرضته ليقوم بها و إنتظرتها بفارغ الصبر، إنتظرت أن تراها و تسمعها بنفسها، لتجني ثمار مجهوداتها و لتشفي غليلها.

لاحظ أريسبكتو تغير وجه إكسنترا فقال لها: "أنا أعرف أترودين؛ فقدانها لإبنها سيدمرها، سيقتلها ببطء.. الفرق بين قتلها اليوم و يوم آخر.. المدة و العذاب..

لا تفعلي بي هذا أرجوكِ، عدم الرضا هو بداية الهجر، لا تتركيني، لا تغربي غروب الشمس!"

"لا أغرب كغروب الشمس التي تطلع فجر اليوم الجديد و كأن شيء لم يكن.. أنا إن غربت، لن أعود، لن أشرق ثانية في نفس المكان، أحرمه مما تبطر عليه و لم يحافظ عليه.."

"سأفعل ما تشائين! معكِ أمهر فرسان البلدة، تملكينه أنتِ وحدك! ستحققي بي المستحيل.. قضينا على مستقبل العرش.. ستجن الملكة.. و الملك بلا ملكة لا قيمة له و لا حيلة.. الشعب، الشعب سيفيض به و سيثور عليه كالذي قبله و قبله.. ألا يرضيكِ هذا؟ أتريديني أن أدمر القصر؟ فلأدمر القصر و يستوي بالأرض و نخطو على أكبر قمة فيه و قد أصبحت ترابا.. أتريديني أن أحرق سوانتار؟ فلتحرق سوانتار و تأكلها النيران و تختفي من الخريطة بلا ماضي أو حاضر أو مستقبل.. إذا فارقتني حياتي، فلتفارق سوانتار الحياة.."

"(تنهدت) و كأن آرمشيو يحدثني! هل هكذا أثر فيك؟ (بحسرة) و أحسست أنت بالذنب و كأنك أنت من قتله، أيها المسكين.. تقمصت شخصيته ليبقى!"

"قاتلته طليقة و لا تشعر بأي ذنب.. فأبدلت ذنبها بالثكل.. و أبدلت حياتها بالموت البطئ!"

الفصل الثاني و الثلاثون:

في أثناء الإحتفال، جاء الملكة أترودين شرطي في أمر طارئ و هي في الإستراحة قبل أن تذيع خطبتها..

سأل الشرطي: "هل أمرت، جلالتك، بأخذ الأمير في نزهة أو إلى أي مكان؟"

أجابته: "لا!"

"نعتذر عن إزعاج جلالتك!"

"ماذا يحدث؟"

"جاري البحث!"

"ماذا؟"

"لا تتوتري، أرجوكِ! نعمل مع الحراس على إيجاده في أقرب وقت.. سألنا جلالتك الآن لنتخذ الإجراء المناسب في الحال."

"ماذا حدث لإبني؟"

"سنعرف!"

ثم إنصرف الشرطي و ترك الملكة مرتبكة خائفة تتسارع أنفاسها تخشى ما يتراءى لها من مجهول.. فهي لا يمكنها طلب المساعدة من أحد و لا تعرف من تحارب و كيف، الأمر سري و في منتهى الخطورة و قد يؤثر على مصلحة البلد..

خرجت أترودين لتلقي خطبتها، لاحظ الجمهور توترها و إنشغالها و تجهمها قبل أن تنطق كلمة.. و من هنا بدأت التكهنات بما يجرى في القصر.

بدأت أترودين الخطبة: "شعب سوانتار.. في هذه الليلة المميزة التي ستضيف إلى وطننا الكثير من الإنجازات في كل المجالات، نفتتح مصنع...."

و بدأت الأحاديث الجانبية..

المواطن الأول: "يبدو إن الملكة ستنفصل عن الملك قريبا!"

المواطن الثاني: "أبهذه النظرات تودعه هو أم تودع العرش؟ قد تكون هي من بيدها قرار الإنفصال و نودعه هو عن قريب!"

المواطن الثالث: "لا إنفصال و لا وداع.. هكذا أصبحت الملكة منذ أن قدم إبنهما إلى الحياة.. يقولون إنه متأخر عقليا.. هذه كارثة كبيرة.. أعانهما الرب!"

المواطن الثاني: "أو لديه عاهة، من يدري؟ نحن لم نره حتى الآن، لدينا الحق أن نطلق جميع الإحتمالات، أليس كذلك؟"

المواطن الأول: "الوريث سليم، لا داعي لكل هذه الشائعات! البعض يقول إن الملك خانها!"

المواطن الثاني: "خانها هي أم يخون سوانتار؟"

المواطن الثالث: "لا، لا، كل ما في الموضوع هو إنها لم تعجبها طريقة حكمه، فثارت في وجهه، فبدأت الشجارات! أتشككون في وطنيتها؟"

المواطن الثاني: "لا نشكك في وطنيتها.. لكنها تعاونه و تدعمه في كل شيء و هو يدعمها بالمثل و أكثر. ألغدر أريسبكتو بها أم لرحيل آرمشيو؟"

المواطن الثالث: "القوة لها.. يمكنها أن تسكت أريسبكتو للأبد.. أما آرمشيو، فلقد إفتقدناه جميعا.."

ما أن إنتهى حوارهم حتى إنتهت معه خطبة الملكة التي لم يسمعوا منها شيئا سوى أول جملة.. لم تنتظر أترودين أكثر من ذلك، فقد إعتذرت عن إستكمال الحفل بهدوء و لم تخبر الحراس.. خرجت هي وحدها و لا تعرف لمن تلجأ و أين تبحث.. فجأة أتت على بالها كلمات آرمشيو و عرضه الدائم لها بمساعدتها.. لم تفكر كثيرا، هرعت أترودين إلى بيت أريسبكتو و آرمشيو، و قبل أن تطرق الباب، لمحت من النافذة المفتوحة وجود سيدة بالداخل. نظرت بتمعن أكثر، فرأت إكسنترا و أريسبكتو يأكلان معا على المائدة.

أصابها هذا المشهد كالسهم، و قالت: "ماذا تفعل هذه هنا؟ هل إتحدت مع أريسبكتو أم تلعب به؟ آرمشيو حذرني من شيء، لابد له أن يعرف ماذا يحدث في هذا البيت، أم إنه يعرف بالفعل؟ أكاد أجزم إنه ليس هنا، أنا أتذكر عنوانه القديم.

(ناظرة إلى أريسبكتو و إكسنترا من النافذة مرة أخرى و هي تفكر) أما هذان، فلا يمكنني الظهور لهما الآن، ليس لدي ما أواجههما به.. (إستدارت، في حزن) ليس لدي سوى خوفي على إبني و لهفتي عليه.. ليس لدي سوى قوة إستمديتها من ضعفي الذي يؤلمني فأصرخ فيمن يقابلني.. فلأذهب إلى آرمشيو، سيساعدني، سأجد إبني، ثم سأفهم ماذا يحدث وراء الستار."

إستدارت أترودين، و إذ بعباءتها الحمراء تطير و تملأ الآفاق خلفها، متجهة إلى بيت آرمشيو، و أخيرا وصلت أترودين إلى بيته في ظلام الليل الحالك..

أخذت أترودين تطرق باب آرمشيو، لكن لم يستجب لها أحد.. زادت طرقاتها و إشتدت، و لا مجيب.. سمعها أحد الجيران، خرج لها و قال: "ألم يصلك الخبر؟ آرمشيو قد مات.. ما عاد لهذا البيت من ساكن.. عودي إلى بيتك؛ الوقت متأخر.."

ما أن سمعت هذا الخبر حتى إنفجرت أترودين بالبكاء بجوار باب بيت آرمشيو، و أخذت تبكي بحرقة حتى وقعت على الأرض و هي تقول: "آرمشيو، آرمشيو! حتى أنت! تركتني حينما إحتجت إليك و لومتني أنا و أنا لم أفعل شيء.. لم تسمعني، ليتك تسمعني، ليتك تراني، ليتك تشعر بي. (تنهدت بألم) ما عدت أفهم شيئا، و ما عاد لي أحدا!"

بعد ساعتين، عادت أترودين إلى القصر مذهوله متجهمة، لا تكلم أحدا و لا تسمع لأحد.

أخذت أترودين تراقب الملك المزيف في صمت من بعيد آملة أن تعرف شيئا.. لكنها لم تواجهه؛ فقد خافت من العناد و تعقد الأوضاع أكثر، إنتظرت الوقت المناسب..

بعد أن خاب أمل أترودين يوم بعد يوم في أن تعرف شيء، بعد أن تملكها اليأس من أن تجد من فقدت، لجأت إلى غرفتها، لم تخرج منها إلا قليلا، مرات تُعد، و هكذا بدأت حالتها الصحية في التدهور..

في ليلة قبل أن تنام، أخذت أترودين تبكي منهارة ثم قالت: "لدي عرش مخيف بلا ملك، إستبدل ملكه في ليلة و ضحاها، هل من شاري؟ عرش تمرد و أصبح بدون وريث له، هل من مهتم؟ عصف بالملكة و حرمها من أعز الناس لها، هل من مشتري؟ لا عزيز له و لا غالي، تجلس عليه تُحكَم به لا تحكمه أنت؛ ترى منه كل العجائب! لازال مطمع الناس أجمع، و لازال هو طامع في الكثير من الضحايا..

يا رب!! كيف لي أن أنام و إبني ليس معي، يواجه مصير لا يدري به.. هل لازال حيا أم إنتهت حياته قبل أن تبدأ؟ أين هو الآن؟؟ ذهب هو و والده، و لا أدري أين هما! أواجه محتال مزيف يصدق كذبة لا يفهمها، و لا أعرف أي يد أتت به و تحركه؛ فأنا في قصر سوانتار لست في قصري أنا.. حتى آرمشيو ذهب.. أصبحت وحيدة في غابة بها الوحوش تستتر خلف مناصب و أقنعة.

أفتقد إبني و لا أفتقد هناء ساعة نوم.. قصر حصين لم يحل عليه الأمان.. ماذا سأفعل؟ يا رب، ماذا سأفعل؟ أين نِرشيس؟ ماذا حدث له؟ أقريب مني أم بعيد؟ أفتقدك، نِرشيس، و أحتاجك! أستبعد إحتمالية موته، فلا يأس مع الحياة و لا حياة مع اليأس.. و هو له حياة بأمر الرب، إذن ليس هناك داعي لليأس.

أكتم إحساسي و أشتت أفكاري، لكن لا يمكنني الصمود أكثر من ذلك، أعترف إني لم أعد أتحمل الأوجاع و لا الفراق؛ آلام الفقد لا تحتمل! على أي شيء كان جدالنا، نِرشيس؟ قل لي! على اللاشيء! ماذا عن الآن؟ الآن، صار اللاشيء بكل ما فيه مجسدا أمامنا و ما من سبيل أرى، ما من سبيل إليك!"

دون أن تدري، نامت أترودين لبضع ساعات و دموعها لازالت تجري .. فجأة، إستيقظت من كابوس، كان فيه كلب إسود ضخم يبحث عن شيء، هاجم القصر حتى إستقر على كتاب أبيض و مات عليه. لم تعرف معناه و خشيت من معناه و لم ترد أن يعرف أحد من تفسيره حقيقة الموقف أيا كان، لحساسيته.

قالت: "كلب إسود ضخم! كتاب أبيض! ما هذا الذي أحلم به؟ هذيان عقل مقيد بالأغلال! كيف نمت؟ يا رب! ماذا سأفعل؟ ماذا سأفعل؟ و ماذا يعني هذا الحلم؟ من هذا الذي سيهاجم القصر؟ و ما هذا الذي يبحث عنه؟ يا رب!"

أغمضت أترودين عينيها للحظات ثم فتحتها و قالت: "الكلب! يبحث عن شخص، لا شيء! في القصر.. هذا القصر.. عن إبني أم نِرشيس؟ من المقصود، إن صح التفسير؟ (سكتت للحظات تفكر) سأستعين بكلب حراسة، سأجعله يشم قميص نِرشيس، لعله يجده.. هنا في القصر أو حتى

خارج القصر، فليكن في أي مكان، سأجده بمشيئة الرب.. أكيد هذا الحلم كان لسبب أو كعلامة أو كإلهام.. آجلا أم عاجلا، سأفهم معناه.. الآن، يجب أن يكون هذا سرا، فللحلم الكثير من التفسيرات و الكثير من التأويلات و الإفشاءات.

إن لم تنجح محاولتي، فسأجرب شيء آخر.. لن أرضى بالأمر الواقع الذي وقع بنا و أوقعنا.. هذا هو دور الإنسان.. عدم الإستسلام و إلا مات قهرا..

كلب! أي كلب هذا؟ (أخذت تفكر) نعم! كلب حراسة الحديقة، هو يعرف نِرشيس، قضى معه الكثير من الوقت؛ لن يعاديه إذا وجده و سيبحث عنه بشراسة و تفانٍ.. سأفك قيوده و آخذه معي في جولة.. في القصر.. لكن متى؟

يوم الجندي!! سينشغل الحراس في إحتفالاتهم.. و إن تعرضت لأي خطر، فسيهاجمهم الكلب..

سيكون كل شيء بخير، بإذن الرب!"

الفصل الثالث و الثلاثون:

دخلا الجنديان اللذان كلفا بخطف الأمير سجن چاشيندره و إنتظراه هناك مع مساعده.. بعد لحظات، دخل عليهم الجندي الأول و جلس بجوارهم في صمت.. إستمر الصمت حتى دخل عليهم أخيرا چاشيندره..

قال الجندي الثاني لچاشيندره: "تم ما أرادنا، لكن بأيد أخرى و لأغراض أخرى لا نعلمها.."

قال الجندي الثالث: "فلنترك الفعل كما هو و لندمر الغرض.. فقد تعارض معنا!"

سألهما چاشيندره: "ماذا حدث؟"

رد الجندي الثاني: "خطف أريسبكتو الطفل!"

سأل چاشيندره: "كيف؟"

أجابه الجندي الثالث: "وصل قبلنا و نفذ مهمتنا!"

علق چاشيندره، في غضب مكتوم: "لابد و أن هذه السيدة وراء هذا!!"

أخذ يفكر و هو يتحرك ذهابا و إيابا في سجنه حتى قرر: "إرسل أحد الجنود إلى بلدتها هذه، يقول لحاكمها إن لدينا عدوته و لدينا أفضل الفرسان للمهمة.. حينما يدخل حدودنا، إستقبلوه بعيدا عن الأنظار.. (كتب بعض الكلمات القليلة على ورقة: "لقاء الفارس قرب العنوان لسحق الأعداء، تتبع النتيجة بخطوات الهدف." و أعطاها للجندي الثاني) إعطوه هذه الورقة و إكتبوا في نهايتها إسم و عنوان المذكور، أريسبكتو هذا. بعد وصول الحاكم هنا، إعلن لشعب هارسيماس النبأ و قل لهم إن حاكمهم يصافح الماضي.. إنصرفوا الآن!"

خرجوا جميعا و تركوا چاشيندره وحده يفكر و يقول: "أريسبكتو هذا! لم أسمع عنه سوى في مواقف تأمين الشعب و حمايته، هذا فعل حديث العهد عليه، هي من شحنته و دفعته و خططت له فذكاؤه حربي لا يعرف المكايد الإجتماعية.. فلنبتزها بأمنها و نهددها بعدوها، بهذا ستشعر بالقلق و الخوف، ستلجأ إلى ما أو من تخشى فقدانه أو ستلجأ إلى من يحميها، و نسحقهما معا!

هي لن تكتفي بهذا، لن يهون عليها ذكائها لتهينه بتوقفها عند هذا الحد! لا يمكننا ضمها لنا، فستشعر بأهميتها و تتكبر و تتشرط و تستهين بنا و سيكون لها الكلمة، إن وافقت.. فلنخلص منها و من والدها، لازال والدها على قيد الحياة، هذا واضح، لن تكون بهذا النشاط الذهني و الحركي إلا بوجود دافع لها حي يُرزق.. أكيد هو من لازالت تحارب من أجله و به تحتمي و عليه تخشى. و أريسبكتو هذا لا دور له، هو فقط سيُهيج الشعب ضدنا؛ لا نريد للشعب قوى، القوة غير مستحبة له مطلقا.. و هذا الذي يحكم هارسيماس خائن لوطنه و سيخوننا لاحقا..

بلقاء واحد مفتعل سيدمر كل شيء، كل المخاوف و التهديدات ستلتقي و ترتطم ببعض وتحطم بعضها البعض.. لتتلاشى في صمت..

و بهذا يبدأ عصري من جديد و قد زالت الغيام و بقيت أنا و حكمي المستتب."

الفصل الرابع و الثلاثون:

بدأت أترودين تنفيذ مخططها حينما كان موفلريل نائما في القصر و معظم الجنود و الحراس منخرطين في الحفل منذ الصباح الباكر.. لاطفت أترودين الكلب لبعض الوقت في الحديقة، ثم أتت له بمعطف نِرشيس و إذ بالكلب يشد قيوده بقوة في إتجاه محدد، ففكت قيوده و مسكت الزمام ليقودها هو إلى مكانه..

ركض الكلب نحو منطقة السجون بسرعة و كان شرس جدا، فحتى من رآه، لم يستطع أن يمنعه أو يقف أمامه.. لم يدخل الكلب منطقة السجون، لكنه أخذ أول منعطف و الذي يؤدي إلى طريق مرصوف منحدر ينتهي بباب.

ما أن وصل أمام الباب حتى أخذ ينبح و يطرق الباب بقوة، كانت أترودين، في هذا الوقت، تنظر حولها في أمل و خوف.. لم يتوقف نباح الكلب و لم يتوقف عن دفع الباب بكل قوته إلى أن فُتِح و دخلا..

كان الظلام حالك بالداخل، كانت بحوزة أترودين علبة كبريت، فأشعلت عود منها لتضيء المكان. ما أن إنتشر النور حولها حتى وجدت أترودين أمامها و بجوارها حجرات كثيرة صغيرة..

تركها الكلب و إندفع للأمام و أخذ ينبح بقوة أمام باب منهم محاولا فتحه.. ذهبت أترودين إلى حيث يقف الكلب، فكرت للحظات ثم حاولت أن تصهر القفل الحديدي بما معها من أعواد كبريت و الكلب لم يتوقف عن دفع الباب.

أخيرا، فتح الباب، و وجدت أترودين نِرشيس ملقيا على الأرض و ما أن رآها حتى حاول النهوض و هرع إليه الكلب..

قال نِرشيس، في لهفة: "أترودين! كيف عرفتِ مكاني؟ أنا نفسي لا أعرف أين أنا!"

"أنت في القصر.. لازلت في القصر! لكن في سجونه التي خفيت تحت الأرض، هناك ممر منحدر يؤدي إلى باب.. ما أن يفتح هذا الباب حتى تدخل عالم القصر تحت الأرض، إنعكاسه! (ناظرة حولها ثم إليه) لكن ليس بنفس صورته الظاهرة.. هنا سجون و رطوبة و ظلام و جدران، هناك ورود و أضواء و هواء و حياة."

"أنا لا يمكنني الوصف مثلك هكذا! إنطفأت الأنوار في الحفل الذي حضرته مع الوزراء ثم وجدت نفسي هنا.. كيف دخلتِ؟"

"إنصهر حديد الأقفال للقائنا المحتوم اليوم بقدرة الرب و بمشيئته!"

ظل نِرشيس ناظرا لها بحنين و إهتمام..

إستكملت أترودين: "حلم ألهمني، نِرشيس، و كلبك المفضل أرشدني.. رافقته أنت كثيرا و قد أتى ليرافقك!"

إبتسم نِرشيس إبتسامة ألم ثم قال: "لكن تبدين متعبة! ماذا حدث في غيابي؟"

"لا وقت لهذا!" ثم قالت، بحصافة: "أتوا بملك مزيف مكانك، هو يشبهك تماما!"

"من هم؟"

"لا أعرف من هؤلاء الذين حرموني من إبننا!"

قال نِرشيس، في ذهول: "ماذا؟"

أخرجت أترودين الكلب حتى يكون حارسا لهما ثم إلتفتت إلى نِرشيس و قالت: "دعني أسالك أنا، هل إنتهينا أم لازال هناك أمل لنا؟"

"أنا لا أفهم شيئا، بداخلي أصارع أمواج الحيرة و التشتت مما قلتِ الآن.. لدي الكثير من الأسئلة، لا يمكنني وضع إجابات لها؛ أخشى إنها مضيعة للوقت. ما هو مهم هو.. هو.. لكن.. ماذا سنفعل؟"

ردت، بحماس: "سنقاوم الخطر.. سنقطع حبل نجاتهم الذي أداروه حول أعناقنا.."

نظر نِرشيس في عيني أترودين لبرهة ثم قال، في حنين و ضعف: "أماتني حبك ثلاث مرات، أرغمتيني على تجرع كأس اليأس! أصبحت صريعك و أنا صريع الحياة.. لم أقوى على المقاومة."

"أتتحدث عن الذكريات أم إن هذا بمثابة عتاب؟"

"هذا عذاب!"

"فلننه هذا العذاب! قم معي! ستبارزه إلى أن يلقي مصرعه، لا شك لدي في قوتك و قدرتك!"

"أنا متعب و مرهق و لا أقوى على القتال!"

"نحن في حالة حرب، هل هكذا يتصرف الجندي عندما ينادى لأداء الواجب؟ هل هكذا يسترد الأسير حريته؟" ثم قالت: "إذا سقطت أنت، فسأبارزه أنا!"

"هل أنتِ متدربة على القتال؟"

"لا خيار لي!"

"لكن.. ماذا سيقول الشعب؟ ستكثر الفتن!"

"سيعتبرونه عرض الجندي الأول في يوم الجندي كنموذج للقتال و المبارزة. لا تفكر كثيرا! قم معي الآن! آه، (قطعت أترودين حزام فستانها و ربطته على جبينه) سأدعم من يضع هذه العصبة على جبينه، إن إستطاع هو أن ينتزعها منك، فسيكون هو الأولى بها و الأصلح للمُلك و سأترك له كل شيء. إتفقنا؟"

"إتفقنا! لن تؤخذ مني أبدا! لكن كيف سنخرج؟"

"سيخرجنا صديقك الذي أدخلني!"

الفصل الخامس و الثلاثون:

وقف موفلريل متعجبا بعد أن أخذ يبحث عن أترودين في كل غرف القصر و لم يجدها، قال: "أين ذهبت هذه السيدة ذات المائتين سؤال و ثلاثمائة خاطرة تتعجب بهم و تصدعني بأحاديثها المستفزة التي لا طائل من ورائها؟ أين ذهبت و من إستطاع تحملها كل هذا الوقت؟ أين ذهبت الساهرة الباكرة التي لا تترك لي نافذة في اليوم لأقف عندها؟ هل تعبت و إنهارت و أراحتني من وجودها؟ أم لديها مفاجأة لي تدبرها في حينها؟"

بعد عدة دقائق، ظهرت له أترودين فجأة من ورائه قائلة، بهدوء و إهتمام: "ماذا فعلت في هذه الإتفاقية؟ إتفاقية رمل البحر.. هل وقعتها؟"

فوجيء موفلريل بوجود أترودين و ما أن تمالك نفسه حتى رد عليها و كأنه مشغول: "لا، لم تعجبني! حسبتهم يقصدون الرمل البني..(مشى للأمام) أنا أحب الرمل الأصفر و لن أضحي به، سأشيد أكبر قلعة بالرمل الأصفر تعظيما له.."

"أتمنى أن تسكنها أنت وحدك! أتعرف لِمَ لم توقِّعها؟"

"لا فكرة لدي! لا، أعرف، قلت لكِ لم تعجبني!"

"و هل لك رأي؟ السبب هو التوقيع.."

قبل أن يرد موفلريل، سمع شخص في الخارج يتحدث بصوت عالي، فزع موفلريل و نظر من النافذة.. وجد شبيهه يقف على صخرة عالية قريبة جدا من القصر.

قال نِرشيس: "لا يمكن لبلد أن يحكمها ملكان، فليكن أنا أو لتكن أنت، أيها النصاب!"

رد عليه موفلريل: "لقد... لقد حكمت عليك لإنتحالك شخصيتي المعظمة بالسجن مدى الحياة و عفوت عنك كرم مني و لم أعدمك كما تستحق من عقاب.."

"سجن؟ يجب أن يكون الملك أكثر حكمة من ذلك؛ لقد تجاوزت مرحلة السجون هذه، فلتقاتلني، و إما أنا القاتل، إما أنا المقتول، فلتقاتل الخديعة حقيقتها!"

علقت أترودين: "الملك خائف؟ (إلتفت لها موفلريل مفزوعا) ألن يلقن المحتال درسا؟ خاب أمل الشعب في ملكهم، يصفقون لك، ينتظرونك، لم يكن الجبن أبدا من صفات نِرشيس.. ماذا لو كنت أنت المحتال؟ (مسكت السيف) (بعنف) لن يحميك مني شيئا إلى أن أعرف مكان إبني.. (بهدوء) لكنك والده، إنزل، إضرب المحتال، و إعرف أين إبننا.. و إلا سيشك الناس فيك، أعطوك ثقتهم، لِمَ تجعلهم يجنون الشك و الريبة؟"

هدأ موفلريل بعض الشيء و قال، بتحذير:"فلتصمتي و إلا أخذنا مجوهراتك!"

ردت أترودين: "أخذت الأغلى!"

"أغلى من المجوهرات؟ معدن نادر! (لنفسه) سرقوه و لم يخبروني بشيء، سأقسِّم معهم لاحقا!"

"أخذتم إبني!"

"إبننا! لا تفسدي الأجواء و إلا سيأتون بشبيهة لكِ أنتِ الأخرى!"

"ماذا؟"

"أقصد ملكة أخرى.. سيبايع الشعب ملكة أخرى!"

مسكت أترودين السيف و رفعته تتأمله و تنظر لموفلريل بنظرات توعد و لامبالاة، الإثنين في آن واحد. خرج موفلريل تلقائيا من القصر بخطوات سريعة، فقد تراءى له إن أفضل حل هو اللجوء لمن وضعه في هذا الموقف و الإستنجاد به، و إن لم ينجح، فالشعب سيدعم ملكه الذي خرج للتو من القصر. وقفت أترودين و معها سيف نِرشيس، نظرت له نظرة أمل و ثقة من نافذة القصر ثم ألقت له سيفه، و إلتقته نِرشيس.

حاول موفلريل أن يدخل منطقة السجون لعله يجد من ينقذه، لكن قابله نِرشيس هناك بعد أن قفز من الصخرة مباشرة أمامه.. هرب منه موفلريل و خرج من القصر و صعد على منصة ضخمة جدا و لحق به نِرشيس، أشهر موفلريل سيفه في وجه نِرشيس مهددا إياه من الإقتراب.

من هنا بدأت المبارزة و نزلت أترودين من القصر و وقفت أمام المنصة تتابع المبارزة برهبة و تشجع الملك و تترقب تولي القتال في أية لحظة. تجمع بعض الأفراد ليروا ما يحدث و من يبارز الملك، و ما إن إقتربوا حتى أصابتهم الدهشة، من هو ملكهم؟ أيحارب نفسه؟ هل هذا حلم أم علم؟

المواطن الأول: "ما هذا؟ ياللعجب! هل يبارز الملك نفسه؟ من هذا؟"

المواطن الثاني: "أحدهما الملك، فقد بايعنا واحد، واحد فقط، أترودين قد تعرف من منهما ملكنا."

المواطن الثالث: "أسنسألها؟"

المواطن الأول: "دعنا نفكر! سنعرف ملكنا بنفسنا، قد يكون الآخر تمثال شمع طبق الأصل منه يحركونه بخيوط غير مرئية!"

المواطن الثالث: "خيالك واسع! أمامنا رجلان، أحدهما ملك بلدنا، ألا يمكننا معرفته و قد عاصرنا حكمه و عشنا معه؟"

المواطن الثاني: "بلى، يمكننا هذا! أترى.. كان ملكنا مفرود القامة!"

المواطن الأول: "و الإثنان منحنيان القامة.. لكن كان ملكنا خطوته سريعة و قوية، هذا ذو العصبة يمشي هكذا، أما الآخر، فخطواته سريعة و خفيفة."

المواطن الثالث: "دعك من هذا! هما في مبارزة، ليس هذا المعيار!"

المواطن الأول: "هذا الذي يقف بلا عصبة لا يبتسم و لا يضحك هو أكثر جدية، إذن هو الملك.. (في تردد و حيرة) لكن.. الآخر هذا يبتسم! ملكنا كان يبتسم كثيرا.. "

المواطن الثالث: "فلنقترب من أترودين، لعلنا نعرف شيء!"

المواطن الأول: "دعك أنت من كل هذا، فليتبارزان كما يريدان، إنها لعبة الملوك!"

المواطن الثاني: "المباراة شيقة، لا يمكن إنكار هذا! دعنا نكمل المشاهدة!"

في منطقة السجون، دخل الجنود على چاشيندره و مساعده و نائبه.

قال أحدهم: "أيها الملك، تقابل الملكان الأصل و الصورة و الشعب محتار بينهما.. يبارزان بعضهما و الملكة، من نظراتها، تأخذه على محمل الجد."

قال النائب: "كيف خرج المسجون؟"

رد عليه الجندي: "لا نعلم، سيدي!"

علق چاشيندره: "(بغيظ) زوجته هي من أخرجته! سوانتار تشهد مفترق الطرق، صراع العصور، أيهما سيسود؟ الماضي و الحق يعود؟ الحاضر و تبقى الأمور كما كانت و تنتهي محاولاتنا الحالية للصمود؟ أم مستقبل لا يعلم أحد عنه شيئا قد يكون أو لا يكون مليء بالوعود؟ سآتي معكم! هذا هو اليوم المشهود!"

قال الجندي، بصوت منخفض للنائب: "لا يمكنه أن يأتي معنا!"

رد النائب: "ممن تخشى؟ طبقا لأوامر مَن تلك؟ لا ملك و لا ملكة و لا نظام.. الكل في الخارج و على كل حال ستتغير أحوال سوانتار."

الفصل السادس و الثلاثون:

خرجت إكسنترا من باب البيت متوجهة إلى القصر لتتابع الأحداث و هي في أوج فرحتها بالنصر بعد أن سمعت أحاديث الجيران و المارة و هي في البيت كلهم متوجسين و متنبئين بنهاية نِرشيس و أترودين.

في طريقها لميدان القصر لتشهد لحظة إنتصارها نتيجة خططها و تستمتع بها، لمحت إكسنترا أريسبكتو واقفا مع حاكم هارسيماس الحالي، عدوها اللدود. لم تصدق نفسها، لكنها لم تفكر كثيرا، غيرت إتجاهها و هرعت إلى هارسيماس قائلة: "لم يكن في القائمة سوى إسمين لازال لهما وجود و ينبضان حياة، والدي، حاكم هارسيماس الأصلي، هذا هو موضوع حديثهما و هدف مؤامرتهما.

ماذا سيريد حاكم هارسيماس من فارس، أمهر فارس في سوانتار و الذي يعرف عدوة الحاكم و بنت خصمه؟ لكن.. كيف عرف؟ من يعرفني؟ من المدبر هذه المرة.. إن لم أكن أنا؟ شخص آخر يحرك الأوتار؟ بالرغم من ذلك، لا يوجد مجال للشك أو أي إحتمال آخر..

حتى فرحتي بالنصر لم يُكتب لي أن تكتمل."

و هكذا هُشِّمَت فرحة إكسنترا بالنصر بمخاوف و شكوك و بدلا من التنبؤ بسيناريوهات نهاية عرش سوانتار، أخذت تتنبأ بما قد يحدث من سيناريوهات مدمرة لها هي.

دخلت إكسنترا البيت الصخري الذي يختبئ فيه والدها وجدته جالسا على فراشه و ما أن رآها حتى نهض و قال، في لهفة: "إكسنترا! أين كنتِ، يا إبنتي؟ لِمَ تأخرت علي؟ هل أنتِ بخير؟"

حاولت أن تسكت الضجيج الذي بداخلها ثم قالت: "أنا كما تراني و لك الحُكم!"

"حمدا للرب على سلامتك! أين أخاكي؟ لم يزورني قط!"

"يزورك لكنك لا تراه!"

عم الصمت للحظات.. زادت فيها حيرة والد إكسنترا، فجلس على كرسي، و إزداد فيها الألم و الحقد داخل إكسنترا.

قالت إكسنترا، بشماتة و غل و فرحة: "سوانتار تشتعل، يا أبي، و ستشتعل و تشتعل إلى أن ينصهر عرشها، محرك أفاعي هارسيماس."

"ما دخلنا الآن بسوانتار؟"

"يغدرون بي الآن تمهيدا للغدر بك.. (إقتربت إكسنترا منه، بقوة) سوانتار لازالت المحرضة ضدنا.. سيأتون هنا، فلنترك هذا المكان، فلنهرب!"

"تعبت من الإختباء و الهروب، فلنواجههم!"

وقفت إكسنترا ثم إستدارت و قالت: "(بسخرية) نواجههم؟ نواجه الذي لا وجه له؟ (بإصرار، و هي ناظرة لوالدها) فلنذهب الآن، يا أبي.. لن أتركك لهم!"

"إبنتي، أرجوكِ، لا تزيدي همي و تتحملى مصائب زماني.."

"أنت حاكم البلاد، لا جدال في هذا و سأحميك بكل ما أملك.. لكن ساعدني في هذا، لا تزيد المصاعب علي! أنت حاكم البلاد الصادق الذي أدعمه قبل أن تكون أبي.. و لابد وأن يظهر الحق!"

ظهر على والدها الخوف و التردد، فقالت: "لا تخف، يا أبي، فإبنتك تغيرت.. لم تعد يداها كيد الأبرياء.. أصبحت يداها ملطخة بالدماء، قد يقولون قاتلة، و لكن في الحقيقة كنت مُقاتِلة.."

إرتعب والدها مما سمع و قال، مستنكرا: "كيف هذا؟"

"ألا تتذكر هذا الذي أصررت أنا على البقاء معه و شجبت أنت تعلقي به؟ لقد إحترم رأيك فيه و قتل أخي فقتلته!"

قال والد إكسنترا، بذهول و صدمة: "قتل إبني؟"

"نعم، قتله.. قتله قريب الحاكم الحالي لهارسيماس، عدوك الذي أخذ مكانك و يستمتع الآن بلعب دورك! لذلك.. أقل لك "فلنرحل من هنا!"."

"هم سيأتون هنا؟ قتلة إبني؟"

"نعم!"

"إذهبي أنتِ! أنا مريض و لا يمكنني الحركة بسهولة.. ليس اليوم!"

"سأعينك في رحلتنا!"

"لا، لن أستطيع! إرحمي أبيك من المعاناة!"

"بحدوث ما نخشاه؟ بأن تتركني وحيدة في هذه الدنيا؟ سأبقى معك!"

"إذهبي، يا إبنتي!"

"معك مقاتلة.. أتمنى ألا يصلوا هذا المكان اليوم، هذا ما سينقذنا!"

"سأخلد إلى النوم!"

"أنا أيضا سأنام!"

عاد والدها إلى فراشه لينام، أما إكسنترا فقد جلست على أريكة في ركن من أركان البيت الصخري و بعد لحظات صمت قالت: "أتدري، يا أبي؟ في اليوم الذي جندت فيه كمقاتلة، يوم أن سفكت الدماء، كان يوم غريب فعلا! قبل أن أقتله، كنا في مكان العبادة المقدس، و تأملته لوهلة من مسافة، لم يدري إني كنت أراقبه، و لكني لم أرى في حياتي قط مثل هذا المشهد، كان يصلي

بتضـرع، شـاهدت خشـوع العيـون و سـمعت صـدق النبـرة و شـعرت بنقـاء الـنفس.. و أحسسـت بالإيمـان و الراحـة تغمرنـي و أحببتـه أكثـر روحانيـا، أثـر فـي.. و لا أعـرف لِمَ؟ كيـف لمجـرم أن يكون هكذا؟ ماذا كان يدور في خاطره آنذاك؟ مـا دافعـه؟ لـم أنـس هذا المشـهد قط و يعذبني كلمـا تذكرت قسوته.. كيف هذا؟ سأجن!"

"ذنب القتل لا تهنأ معه حياة!"

"قد يكون بريء، أجبر على ذلك! قد يكون.."

لم تستطع إكسنترا أن تفكر في الإحتمالات المنصفة له فبكت و لم يرد عليها والدها لسخطه على قاتل إبنه، لم يستطع حتى أن ينظر لها من شدة حزنه على إبنه و صدمته و ألمه و الذي يحاول أن يداريه عنها.. عم الصمت بعدها إلى أن ناما.

بعد ساعات قليلة، دخل شخص متخفي خلسة بيتهما الصخري، قلقت إكسنترا من نومها سريعا فقد كانت مترقبة وصولهم في أي لحظة.. كان يقترب أكثر من سرير الحاكم، فهرعت إكسنترا لتحول بينه و بين والدها و بيدها زهرية، صدمته بها على رأسه، فطعنها بالسكين دون أن يرى وجهها، فوقعت على الأرض. نهض والدها مسرعا محدقا في وجه القاتل للحظات.. ثم جثا الوالد على ركبتيه بجوار إبنته و كأن وعيه يفارقه شيئا فشيئا مصيبا إياه بالجمود.. و رأى القاتل ضحيته و رأت الضحية قاتلها.. كانت إكسنترا الضحية هذه المرة و كان أريسبكتو هو المجرم القاتل.. إختلفت الأدوار بشكل تام غير متوقع.. وقف أريسبكتو في حالة ذهول ينظر لإكسنترا و للسكين التي لازالت في يده.

في هذه الأثناء، دخل عليهم فوج من الناس يتزعمهم حاكم هارسيماس الحالي..

قال الزائر الأول: "ماذا فعلت في حاكمنا؟"

قال الزائر الثاني: "قتلت إبنته؟"

قال الزائر الثالث: "كنت تريد قتله، أيها العميل!"

قال أريسبكتو، متعجبا: "أليس هذا حاكم هارسيماس الخائن؟"

قال الزائر الرابع: "أنت الخائن و المجرم!"

قالت إكسنترا في ضعف و صوت غيرمسموع للكل: "أُقِّن و لا يعرف شيئا!"

قال أريسبكتو للحاكم الحالي لهارسيماس: "ألم تقل لي هذا؟"

رد عليه، مستنكرا بضحكة خفيفة تخفي كذبته: "كان هذا منذ زمن بعيد ما عدت أتذكره.. فلنحمد الرب على سلامة حاكمنا العظيم، (لوالد إكسنترا) ظهرت الحقيقة و ظهرت أنت معها أخيرا، أيها البطل! لابد و أن يحاكم هذا الخائن!"

قال الزائر الخامس: "فليُعدم!"

قال الزائر السادس: "فليُعدم!"

قال الحاكم الحالي لهارسيماس: "فليعدم في ميدان عام في هارسيماس ليكون عبرة لغيره!"

قالت إكسنترا لوالدها و قد زاد النزيف: "عدت أشعر بضعف الإنسان.. إتركهم فهم ماداموا يتناقشون و يتجادلون بلا جدوى، بات ذلك إسلوب حياتهم.. أنا لا أحتاج منهم شيئا.. هذا قدري أن تكون نهايتي في أخر مهمة أعيش لها، أن أموت و لا أشهد النهاية. لعل الموت يريحني من نار الغل التي نشبت بلا نهاية.. يوم النهاية!"

قال أريسبكتو في لهفة عليها و تأثر: "إكسنترا.. إكسنترا!"

قالت إكسنترا لأريسبكتو، و هي تتحدث بصعوبة: "ما طالبتني أنت به فعلته بنفسك لنفسك.. حررتني لأذهب إلى من أحب... قتلتني، فلك في قتلي حياة (و هي تنظر إلى الحاكم الحالي لهارسيماس)!"

نظر له أريسبكتو في حيرة محاولا فهم ما تقصده إكسنترا.

إستكملت إكسنترا كلماتها قائلة، بصوت ضعيف: "بهذا تم الإنتقام و هلكت أمنيتك و لم يكن لك القرار."

قال أريسبكتو: "ماذا؟"

أجابته إكسنترا، بصعوبة بالغة: "ستعرف حينما تدق ساعة الحقيقة!"

ثم لفظت إكسنترا أنفاسها الأخيرة.. و عم الحزن داخل البيت بالرغم من عدم إهتمام أحد؛ فلم يفكر أيا منهم في طلب المساعدة أو الإسعاف؛ كل ما كان يشغلهم هو عثورهم على الحاكم السابق، و موقف الحاكم الحالي النبيل كما تراءى لهم، و الخائن الذي إرتكب جرما و لابد أن يثبت عليه جرمه.

لم يكن الحاكم الحالي على دراية بإنه سيذهب مع فوج ليشهد الجريمة التي كان هو المحرض عليها، لكن بعد الأنباء التي أشاعها جنود چاشيندره في هارسيماس و بعد أن رأى البعض إكسنترا تسير مرتبكة في إتجاه محدد و كأن خطواتها محسوبة، البعض تتبعها من بعيد وأخبروا من رأوهم بإنهم عرفوا أين يختبئ الحاكم، و لأهمية مثل هذا النبأ المنتظر، إنتشر بقوة و بضجة.. البعض إنتظر عودة الحاكم الحالي ليذهبوا معه إلى حاكمهم السابق ليفي الحالي بوعوده و ليستقبلوا السابق ليعود من جديد، أغلب من ذهبوا معه كانوا مؤيدين الحاكم السابق.. و لم يرى الحاكم الحالي مفر منهم سوى بالخضوع لرغباتهم.

الفصل السابع و الثلاثون:

في ساحة المعركة، إشتد القتال و أخذت أترودين تقول بصوت عال: "إدعموا ملككم، إنه يوم الجندي! أترون؟ هذا عرض الملك لكم.. ملككم هو من يضع العصبة على جبينه.."

زاد الصخب و الضجيج حولها و إزدادت الأعداد المتجمعة و نشب الجدال و حدث الكثير من الشجار و إتضحت التعصبات و بذلك بدأت الفوضى في الظهور.هناك من صدق أترودين و هناك من إتهمها بالخيانة و إنها تخطط لقتل الملك و إشراك الشعب في جريمتها هذه.

إستمرت الأوضاع هكذا حتى نزلا من المنصة إلى الأرض و دفع أحد الجنود الواقفين في التجمع، و هو أحد جنود چاشيندره، نِرشيس حينما وقف أمامه بالصدفة أثناء مبارزته مع موفلريل مما أخل بتوازنه و موقفه في المبارزة، فإنهال عليه موفلريل في الحال بسيفه و طعنه.

عم الصمت أجواء المكان في خوف من مشهد الدماء و الرؤية الضبابية التي تسود المكان.

هرعت أترودين إلى نِرشيس و سندته و الدموع في عينيها، فأخرجت سيفها و في عينيها نظرة إنتقام و وعيد. حينما شعر نِرشيس بالخطر يقترب ليأخذ أترودين معه في موكبه، إندفع نِرشيس فجأة بكل ما به من قوة و طعن موفلريل طعنة نافذة، فسقط موفلريل، الذي كان يحيي الجماهير وقتها و هو فخورا بنصره، و لقى مصرعه في الحال..

إنهار نِرشيس في ألم و سقط على الأرض و معه أترودين و قال لها: "لم أخذلك، ها أنا ذا أموت من أجل الوطن، و من أجلك أنتِ.. فعلت ما بوسعي و قد عاهدت نفسي أن أعيش للرب، لسوانتار، و لكي أنتِ.. عاهدت نفسي أن أعيش لكم و بكم ما تبقى من العمر حتى لم يعد في العمر بقية.. سامحيني، يا أجمل الأقدار!"

ثم فارق نِرشيس الحياة، و ترك أترودين تبكيه بحرقة.

غلب أترودين هول اللحظة، فتركت نِرشيس و سارت هائمة متجهمة لبضع خطوات ثم إنفجرت في الشعب و صاحت بهم قائلة: "كانت عزتكم من عزة ملككم، و مات الملك و لا عزة لشعب جاحد مثلكم. تخليتم عن ملككم و تتشاجرون و تتخاصمون و مصير بلادكم على المحك، ويلكم من النهاية! ويلكم من النهاية و سكراتها! ويلكم منها!"

إزدادت حدة الحوار بينهم و بدأت الصراعات تتخذ من القتال شكل لها.. نظرت لهم أترودين و كأنها تُحطَّم هي بكل ضربة يتلقاها أحدهم. فجأة، ظهر لها واحد من الشعب (المواطن الأول) يقول لها: "لديكِ مفاتيح العرش و لا أحد يصلح له غيري أنا.. فلتحافظي على مكانتك و سبب نفوذك و لتعيدي السلام لأنحاء البلاد بإعلاني أنا الملك و سأبقى عليكِ في القصر مكرمة، هذا هو الحل الوحيد أمامك و إلا..."

ردت، بعبوس: "من أنت؟"

قال لها: "إذن هذه هي إجابتك! أنتِ لا تعرفينني، لكني أعرف من أنتِ.. (بصوت عال) خائنة.. الملكة خائنة!"

ركضت أترودين بسرعة من هذا المكان، و أخذت تركض و تركض و هي تسمع صوته و صداه مرارا و تكرارا: "خائنة، الملكة خائنة!"

ثم إستكمل المواطن الأول بصوته العال و صياحه: "ها هي التي قتلت المئات منكم في السر و أبرمت العقود و الصفقات المخزية.. أتأتمنوها على عرشكم؟ فليكن هذا أخر يوم لها في التاريخ!"

المواطن الثاني: "لا تقل هذا على الملكة أترودين، أيها الخائن الذليل!!"

تدخل المواطن الثالث و قال للمواطن الثاني: "إسمع.. أترودين كانت واحدة منا، لكن لا نعرف مع من هي الآن.. لم تكن معنا في جبهتنا، كانت هي الجبهة الأخرى؛ لم تشعر أترودين بما عانيناه.. كانت معنا و منا إلى أن إختلفت الأوضاع و تغير موقعها.. الآن، لا نعرف عنها شيئا!"

المواطن الأول: "هي الخائنة التي قتلت الملك حينما كشف لعبتها.. أتت بشبيه له كي تفرض سيطرتها عليه، و مات الملك و أخفت الوريث لتكن هي صاحبة العرش و تكون هي وحدها حاضر العرش و مستقبله و ترجع لها زمام الأمور. فعلت كل هذا لأجل هذا اليوم بعد أن أججت نار الحقد في القصر و العداوة و الإنقسام بيننا. حقا، إن كيدهن عظيم!"

المواطن الثاني: "لا تزايد على وطنية ملكتنا، فلن يضاهيها أنت و من معك.. عاشت فداء للوطن و لن تهرب بل ستموت معنا.."

المواطن الأول: "ها ها، أبى الموت أن يرحمها و ستذلها الحياة و سترى و سترى.."

تمادت أترودين في خطواتها أكثر و أسرع و هي تحاول ألا تسمع أو ترى شيئا مما يحدث حولها و ورائها. ظلت هكذا تمضي بعيدا إلى أن وصلت لمكان هادئ، إستنشقت فيه الهواء و أخذت تحدق في جمال الطبيعة و تتذكر نِرشيس و تبكي عليه..

و هي في هذه الحالة من الشجون، سمعت أصوات أحصنة، نظرت في إتجاه الصوت، وجدت كتيبة مسلحة متجهة نحو سوانتار بخطى ثابتة. فزعت أترودين و لم يعد هناك وقت للنحيب، فليكن في مناداة و إيقاظ من بلا نفسه بالعمى و الصمم.

أخذت أترودين تسارع خطواتها و تركض عائدة إلى ساحة المعركة، و ما أن وصلت حتى صاحت في شعبها: "الجيوش قادمة لتحاربكم و تقضي عليكم و تأخذ أرضكم؛ جيش إستطلاعهم على بعد خطوات منكم! فلتصمدوا الآن أمامهم.. هناك شحنة أسلحة قادمة، أعرف ذلك، فلندافع عن وطننا إلى أن يأتينا الدعم.. كفوا عن الشجار، ماذا بكم؟ كفوا عن هذا، وطننا يضيع! أين عقولكم؟ كفى! كفى!"

لم يسمع لها أحدا و إزدادت أعداد القتلى و تدفقت الدماء و إرتفعت الأصوات و هاجت الحيوانات و كُسِرَت المحلات و حُطِّمَت الأرصفة و الطرقات.

ركعت أترودين تبكي على تراب وطنها تستنجد به: "أنا أتحامى في ترابك، يا وطني الحبيب! ألن تحمني من أعدائك؟ وجعك يؤلمني، ما بك من نار يحرقني! أشتاق إليك، يا وطني! تمنيت أن أراك في عزة، و ها أنا الآن أخشى سلبك مني، فلا قلب لمن يسكنك.. و من تنبض فيهم جذورك، فقدوا القدرة على التمييز و التفكير. أيا وطنا أصابه التمزق و التشتت و الجحود.. أيا وطنا ضاع منا و لم نعتبره نعمة.. أيا وطنا لم يبخل علينا بذرة خير و دمرناه بأيدينا و لم يعد لنا بيت!

نِرشيس، آه، (سكتت لحظات تهدىء من روعها) بدأنا قصتنا بحبك، يا وطني، و على حبك و بك إنتهت و إنتهى كل شيء!"

بعد إنتهاء المبارزة التي تابع چاشيندره نصفها الأخير مباشرة في الساحة و بعد أن علم من جنوده بقدوم الجيوش التي ستهاجم سوانتار و لمعرفته بهذه الجيوش بالذات و رؤيته للموقف أمامه و تحليله له، قال: "فلأعود أنا إلى الحكم، فلأعود أنا إلى قصري أو تعيش سوانتار خاضعة ذليلة.. و الآن عرفت الإجابة.. أتاها من لا يرحم.. لكنه قبل كل شيء يقضي على رؤوسها و يستعبد شعبها.. أتاها من لم أختره أنا لها.. و ما عاد لي دور، فلأقف هنا و من هنا أعلن نجاتي.."

فجأة، سحب چاشيندره سيف من أحد الجنود الواقفين حوله و قتل نفسه به في الحال.

الفصل الثامن و الثلاثون:

وقفت أترودين بصعوبة و لا تزال حالتها سيئة تشعر بخفقان القلب و قرب توقفه. أثناء بكائها و نهوضها، كان يراقبها جندي يلبس الزي العسكري للبلد التي تحاول الهجوم عليهم و إذ به يقف خلف أترودين مباشرة يبعده عنها بضع خطوات يقول لها: "يا ملكة سوانتار!"

نظرت له في خوف و ترقب..

قال: "شعبك يبيع بلده و يضحي بكِ.. لن يدعموكِ أو يساندوكِ، فقد إنقلبوا على بعضهم البعض و إنتهى أمرهم. الخطر محدق بسوانتار!"

ثم رفع الخوذة التي كان يرتديها و ظهر لها وجهه.

عرفته أترودين و قالت في تعجب و حسرة: "أنت! ماذا تفعل هنا؟ جئت بالذكريات أم للذكريات؟"

"جئت محاربا أغزو بلد مدمرة تحتاج الإنضباط حتى لا تكون مصدر إزعاج، هذا ما يقوله من معي.. أما أنا، فأظنني جئت أنقذ أخت صديقي العزيز الذي فرَّقت بيني و بينه الأيام، جئت لملكة سوانتار."

"ملكة سوانتار لا تحتاج الإنقاذ! كما أن سوانتار شامخة قوية، ليست ذليلة و لا مدمرة.. أتوا جنودك ليستولوا عليها في ضعفها ليضموها لبلادهم الفقيرة المجدبة، كذِّبني إن لديك الحق!"

"هذا لا يعنيني! باع الشعب بلده و أفسد فيها، هل لنا أن نلوم من إشترى و في نيته..؟"

"قتل الأبرياء و نهب الثروات! هذا هو غرض الإحتلال!"

"أو تأديب بعض البلاد التي تنتشر فيها الغوغائية و البربرية! لا وقت لهذا، صدقيني! سيأتون الآن من كل حدب و صوب، فات الأوان على الشرح و التحليل و الجدال.."

قالت أترودين، مصدومة و مستنكرة: "هل هذا هو تفكيرك؟"

"هذا هو الواقع، فلنتكيف معه أو لنبسطه لنتغلب عليه!"

"أنا لا أفهمك و لا أريد أن أفهمك! إتركني، أرجوك، أحارب مصيري على أرض وطني.."

"ليس بمصيرك! أتحاربين مصائر من إستحضرها؟ أترودين، لطالما كنتِ قمر ليلي الذي يرشدني و يهون علي، فلأكن أنا حامي القمر.. هناك في هذا القصر، المنصرم عصره منذ لحظات، لا مكان لملكة أو ملك؛ لا مجال للحكم الملكي في هذه البلد بعد الآن، أعرف ما أقول. إعطني يدك و سأبرهن لكِ و سترين ما أقول! هم ظلموا أنفسهم، لِمَ تظلمين نفسك معهم؟ أنتِ من وقع عليه الظلم، لا تشهدي قسوته بإختيارك، فهو ليس لكِ. ستكونين بأمان معي بعيدا عن الحروب."

"أنا الملكة و لازلت الملكة و سأحارب للنهاية، ليس لأجلهم بل لأجل سوانتار."

فجأة، إخترق المحارب سيفان من إتجاهين مختلفين، من الأمام و الخلف، في وقت واحد. فقد رأته الجبهتان، جبهة سوانتار إعتبرته عدو يقترب منهم و يندس بينهم و يحرض ملكتهم أو يحاول أن يضرها فقتلوه و جبهة الجيش الذي أتى معه إعتبرته خائن يتحالف مع الأعداء أو يساومهم لمصالح شخصية له فقتلوه، و سقط المحارب على الأرض قتيلا أمام أترودين و هي مذهولة و مرعوبة.

أخذت أترودين تنظر حولها خائفة بلا حول و لا قوة لها، و إذ بجنود الأعداء يضنون منها و يقبضون عليها بدون أي مقاومة منها و كأنها فقدت الوعي جزئيا، يقرأ أحدهم عليها من ورقة الآتي: "بعد أن حاصرنا بلدكم و نجحنا في إخضاعها لنا بكل سهولة و يسر، ستُضم سوانتار لأراضينا.. بذلك لا نحتاج حاكم لها و قد إنتهت ولايتكم لها. طبقا لقوانينا، يؤسر أو يقتل من يقطن أو قطن قصور مستعمراتنا."

لم ترد أترودين، ظلت ناظرة له و هي لا تفهم ماذا يحدث أو ماذا سيحدث و خطر على بالها كلام نِرشيس الذي قاله لها فقد شعرت به و بكل حرف منه: "أصبحت صريعك و أنا صريع الحياة؛ لم أقوى على المقاومة!"

بعد لحظات، إنضم لهم جندي آخر ملثم قدم لهم ورقة، قرأوها، تحدثوا مع بعضهم البعض ثم قالوا له: "فلتؤخذ إلى سجون سوانتار إلى أن نرسلها إلى سجوننا في الصباح الباكر.."

نادى قائدهم على جنديين آخرين و قال لهما: "إذهبا معهما إلى منطقة السجون!"

بالفعل وصل الجنود مع أترودين إلى منطقة السجون و دخلوها حتى وقفوا أمام الزنزانات.

قال لهما الجندي صاحب الورقة: "أخذت منهم مفاتيح منطقة السجون، و لن تهرب مني، المكان مؤمن!"

رد أحدهما: "لا يمكننا الرحيل إلا بعد دخولها السجن و إغلاق الباب بالقفل."

قال: "إذن فلتساعداني في فتح المقبض المركزي!"

رد الآخر: "عم تتحدث؟"

أشار الجندي على صندوق مثبت في الحائط معلق في السقف و ما أن نظرا للسقف حتى دفع أترودين خلفه و إنهال عليهما بالضرب حتى فقدا الوعي. جذب الجندي أترودين و خلع زي العسكري و أعطاها معطف رجالي لتلبسه بدلا من العباءة و خرجا من منطقة السجون خلسة بطرق ملتوية من الباب الخلفي.

خرجا من منطقة السجون و القصر إلى الصحراء و أخذا يركضان.. لم تنطق أترودين بكلمة بل ذهبت مع التيار؛ لم يفرق معها شيئا. فجأة، سمعا دوي طلقات نارية تطلق عليهما، فركضا أسرع و أسرع إلى أن أصابت رصاصة رِجل الجندي الذي معها، لم يعد قادرا على الركض السريع، غيرا إتجاههما و بالصدفة وجدا سيارة بيضاء، أوقفاها و رَكِبا.. أزال الجندي قطعة القماش التي كان يخبئ بها وجهه.

قالت: "من أنت؟ و لِمَ أنقذتني؟"

رد عليها: "أُكفر عن ذنب؛ قتلت بريئة.. فأنقذت بريئة لها أفضال على سوانتار و ليس من العدل أن تلقى هذا المصير.. و إسمي لوريسو."

قالت، متأثرة و على وشك البكاء: "لم يكن من العدل أن أترك إبني هناك، تركته و نجوت أنا.."

"لا تقلقي! إبنك يسكن مع إحدى العائلات التي تسكن سوانتار و هو سليم و في أمان؛ لم يعد مستهدف كأحد ساكني القصر الملكي."

"في سوانتار؟ إبني في سوانتار؟ كان معنا؟ كان بجواري و لم أره؟ أي عائلة هذه؟ كيف حدث هذا؟ من..؟ أي..؟ آه، إنتهى الوقت.. آه، إبني بخير! لكن سوانتار كلها لم تعد في أمان!"

"لا تقلقي، جلالتك! هذه العائلة من بلد أخرى، جذور أخرى، يمكنهم بسهولة تدبر حالهم و الإنتقال خارج البلد، إن لزم الأمر و شعروا بالخطر."

قالت: "رُحِمَ إبني.. لكن.. كيف عرفت؟ و لِمَ لم تفعلوا شيء؟ لِمَ لم تردوا لي إبني؟"

"وصلتنا الأخبار بالأمس، و قمنا نحن، جنود القصر، بالتحقق منها منذ ساعات تقريبا قبل بدء المبارزة، كانت مهمتنا سرية."

"أسرة واحدة تقف على خط أمامي واحد، بالرغم من ذلك يتلقون أقدارهم الواحد تلو الآخر و تختلف المصائر! الحمد للرب!"

"أعتذر لجلالتك! (في ألم) لم يمهلنا القصر الفرصة لإشعاركم."

لاحظت أترودين تردي حالته، فقالت: "ماذا عنك؟ أنت تنزف.. أيمكنك أن تتحمل حتى نصل إلى أي مكان؟"

"مثلما نزفت هي، سأنزف أنا. لا يهم، فلتكوني أنتِ بسلام!"

كما أنقذت، أُنقذت..

سارت السيارة حتى قطعت الصحراء و عبرت الحدود و وصلت السيارة بهما إلى بلدة مجاورة لسوانتار.

النهاية:

كم من صراعات خضناها دون أن ندري..

كم من صراعات عاصرناها دون أن نلحظ وجودها..

و لطالما غيرت الصراعات ملامح معالم..

و لطالما كتبت نهايات و أذنت لبدايات أن تثير صراع جديد يقود إلى تجديد و تتبدل الأحوال و تعاود الكرة لعبتها و تتغير الأحداث و الأشخاص و تبقى القواعد ثابتة والإستنتاجات واحدة يتناساها الإنسان على مر العصور..

جميع الحقوق الخاصة بهذه الرواية و حقوق النشر كلها محفوظة كاملة للمؤلفة: نهى علاء الدين

© 2017 NOHA ALAA EL-DIN ALL RIGHTS RESERVED

E-mail:
Noha.worksliterature@gmail.com